

الفصل الرابع

المناهج لتنمية التفكير وصناعة المبدعين

- ١ - التفكير وعلم النفس المعرفي.
- ٢ - تنمية التفكير غاية التعليم.
- ٣ - التعليم العصري والإبداع.
- ٤ - التفكير المتشعب وتحرير العقل.
- ٥ - هندسة النجاح والتعليم.
- ٦ - أدوار المعلمين لصناعة المبدعين.

المناهج لتنمية التفكير وصناعة المبدعين

أولاً- التفكير وعلم النفس المعرفى:

نال موضوع التفكير والتعلم اهتمام الباحثين فى مجال علم النفس المعرفى، فهو من الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بمتغيرات العصر ولأنهما متداخلان فى كل مظاهر الفروق الفردية، والتفكير هدف مهم من أهداف التعليم العصرى. أن من أفضل الطرق فى تيسير تعلم الطلاب التعامل مع الفروق الفردية بالتركيز على الأساليب العقلية وأساليب التعلم، لأن التعلم يرتبط دائماً بالتفكير، والفروق الفردية تتدخل فى استخدامنا لأساليب معينة عندما نفكر وأيضاً عندما نتعلم.

وإذا كان العصر الحالى عصر الثورة العلمية والتكنولوجيا الحديثة، عصر الفضاء والإلكترونيات وعلوم الكمبيوتر والإنترنت والأقمار الصناعية والعولمة والانفجار المعرفى وثورة المعرفة فإن هذا كله يتطلب الاهتمام بتنمية مهارات التفكير السليم لدى كل المتعلمين حتى نساعدهم على مواجهة المواقف والمشكلات الآنية والمستقبلية. إننا لكى نعيش القرن الواحد والعشرين يجب علينا أن نسلح أبناءنا وبناتنا بمهارات التفكير اللازمة للتوافق مع متغيرات الحياة، وأن يتعلموا كيف يكونون قادرين على حل المشكلات التى تواجههم ولكن بطريقة إبداعية غير نمطية. إن العصر الذى نعيش فيه يمكن أن نطلق عليه عصر الاهتمام بسيكولوجية التفكير. فالتفكير عملية معرفية أو فعل عقلى نكتسب به المعرفة، كما أن التفكير يقع على قمة هرم النشاط العقلى، فالإنسان عن طريقه يستطيع توظيف غالبية العمليات العقلية الأخرى إن لم يكن كلها تقريباً؛ أى أن التفكير موجه لكل ما يقابلنا من مشكلات لنجد لها ما يناسبها من بدائل وحلول.

إن على المعلمين أن يركزوا على مهارات التفكير العلمى، وتبصير الطلاب بكيفية الأداء السليم تجاه المشكلات، وكيفية انتقاء المعلومات المرتبطة بالمشكلة، وكيفية اكتشاف وتنسيق الموقف المشكل بما ييسر الأداء السليم. ومن علماء النفس من أكد على أهمية تدريس التفكير وقيمه، كما أكدوا على أهمية تصميم برامج لقياس وتحديد مهارات التفكير لدى الطلاب، وذلك من خلال مناهج صممت وأعدت من أجل إيجاد سياقات أو مقررات دراسية أو نشاطات مختلفة تبين ذلك لهم.

إن إحدى الطرائق الممكنة التى من خلالها نستطيع تحديد الطرق المعقدة التى يتعلم بها الفرد هى دراسة الطريقة أو الأسلوب الذى يفكر به كل طالب من الطلاب. ونتيجة لذلك فقد تركز اهتمام بعض الباحثين فى الآونة الأخيرة على دراسة تأثير متغيرات الفروق الفردية غير المعرفية على التحصيل الدراسى، وأحد هذه المتغيرات هى أساليب التفكير التى تشير إلى طريقة الإنسان فى استخدام قدراته تجاه المهام المعرفية. إن بعض الطلاب يفضلون الطريقة اللفظية فى التفكير، والبعض الآخر يفضل الطريقة البصرية. ويعد جوردن ألبرت أول من قدم فكرة أسلوب التفكير إلى ميدان علم النفس عندما تحدث عن أساليب الحياة التى قصد بها أنماط الشخصية المميزة أو أنماط من السلوك، وهناك ثلاثة مداخل لتفسير أساليب التفكير، هى:

١ - المدخل المتمركز على المعرفة: والأساليب المعرفية هنا تشبه القدرات العقلية لأنها تقاس فى معظم الأحيان من خلال اختبارات تتضمن الصواب والخطأ وهى اختبارات لإظهار أقصى الأداء، وتقيس الفروق الفردية فى المعرفة والإدراك التى درست واهتمت بالفروق الفردية بين الطلاب المندفعين والمترويين وكذلك دراسة الفروق الفردية بين الأفراد المستقلين والمعتمدين على المجال الإدراكى.

٢- المدخل المتمركز على الشخصية: وظهرت في هذا الإطار سمات الشخصية التي يتم قياسها باختبارات الأداء المميز. وهنا تعد الأساليب جزءاً من الشخصية. وقد ظهرت نظريات منها ما ربط بين التفكير والشخصية في ضوء نظرية الأنماط النفسية، وتوصلت إلى ستة عشر أسلوباً في الشخصية تقاس في ضوء نمط: الإدراك (الحس - الحدس) والحكم (التفكير - الشعور) والتعامل مع الذات والآخرين (الانبساط - الانطواء) والتعامل مع العالم الخارجي (الحكم - الإدراك). وهناك من النظريات ما توصل إلى ستة أساليب في الشخصية (واقعي / فني / اجتماعي / مبادر / تقليدي / بحثي).

٣- المدخل المتمركز على النشاط: وركز هذا المدخل على أساليب التفكير كمتغيرات وسيطة لأشكال مختلفة من الأنشطة تظهر من خلال جوانب المعرفة والشخصية. وظهر في هذا الإطار أساليب التعلم والتدريس، واهتم الباحثون بدراسة علاقة أساليب التعلم (المدخل المتمركز على النشاط) بسمات الشخصية (المدخل المتمركز على الشخصية)، وتوصلوا إلى أنه يمكن التنبؤ بأساليب التعلم من خلال سمات الشخصية.

وفي إطار البحث في تحديدات المداخل الثلاثة المعرفة والشخصية والنشاط لأساليب التفكير ظهرت نظرية حديثة هي نظرية التحكم العقلي الذاتى أو نظرية أساليب التفكير التي توصلت إلى ثلاثة عشر أسلوباً من أساليب التفكير. ويهمننا في هذا الصدد أن نركز على:

١- إن ما يجب النظر إليه ودراسته في ميدان التعليم هو توزيع الطلاب على التخصصات الأكاديمية المناسبة لهم طبقاً لأساليب تفكيرهم وأساليب التعلم وخصائص الشخصية المرتبطة بها، وبالتالي تسهم في تحقيق التوافق النفسى لدى الطلاب وعدم تعرضهم لصعوبات تعلم فيما بعد. فانتقاء الطلاب للتخصصات

الدراسية يعد سلبيا بعد معرفة السمات اللازمة للنجاح في كل تخصص، ولا يقتصر التوزيع على التحصيل الدراسي فقط.

٢- إن دراسة أساليب التفكير والتعرف عليها لدى طلاب الجامعة ومدى علاقتها بأساليبهم في التعلم تساعد أعضاء هيئة التدريس على تشجيع الطلاب على التفكير واعتباره جزءا مهما من العملية التعليمية، وتساعدهم أيضا على معرفة الطرق التي يتعلم بها الطلاب، وبالتالي قد تساعد علماء النفس التربوي على تصميم وإعداد الوسائل الممكنة من أجل الارتقاء بالتعلم وتساعدهم أيضا على فهم بعض القدرات العقلية، فأساليب التفكير أفضل من اختبارات القدرات التقليدية في التنبؤ بالتحصيل الدراسي.

٣- إن معرفة المعلمين بأساليب تفكيرهم وأساليب التعلم المرتبطة بها قد تساعدهم على استخدام أدوات مختلفة في تقويم تلاميذهم بطريقة تجعلهم ينمون ويطورون وينوعون من طرق تدريسهم لحفز تلاميذهم على التفكير.

٤- إن أساليب تفكير المعلم ترتبط بطرق تدريسه، وبالتالي قد يختار المعلمون طرائق التدريس التي تتسق مع أساليب طلابهم في التعلم. لقد أثبتت الدراسات النفسية أن أساليب التفكير تعتمد اعتمادا كبيرا على خصائص كل من المعلمين والطلاب فالمعلمون يفضلون الطلاب الذين يتناغمون معهم في أساليب تفكيرهم، ويكونون أكثر فاعلية إذا تعرفوا على الأساليب التي يفكر بها طلابهم وبالتالي سوف يمتنعون عن تكليف طلابهم بعمل أشياء لا يستطيعون عملها أو أشياء لا يحبونها وأنه كي نكون معلمين ناجحين يجب أن ندرك كيفية تعلم طلابنا وأساليبهم في التفكير والتعلم ومستويات ذكائهم.

٥- إن معرفة الطالب بأساليب تفكيره يساعده على زيادة فهمه لنفسه وفهمه للآخرين وتحسين وتطوير علاقاته مع والديه وأصدقائه وزملائه وتجنب الصراعات في

المنزل والمدرسة والعمل، وتطوير وتحسين العمل الجماعى وديناميات الجماعة وزيادة تأثير الفاعلية والاتصالات وتوفير الوقت والجهد والمال.

٦- إن إدراك أساليب تفكير الطلاب والمعلمين يساعد المدراء عند اختيار وانتقاء الفرد التفكير بصورة أكثر من كفاءته، ذلك أن أسلوب الفرد في التفكير يجب أن يؤخذ في الاعتبار مثله مثل ذكائه ودافعيته عند وضع الفرد المناسب في المكان المناسب.

إن هناك اتفاقا على أن الأشخاص المتفوقين عقليا لا يؤدون العمل دائما بنجاح، وأن العوامل غير المعرفية ترتبط بالأداء الوظيفى الناجح.

إننا يجب أن نفرق بين التفكير وأساليب التفكير، ذلك أن التفكير عملية عقلية معرفية تؤثر بشكل مباشر فى طريقة وكيفية تجهيز ومعالجة المعلومات والتمثلات العقلية المعرفية داخل العقل الإنسانى. أما أسلوب التفكير فهو طريقة الفرد المفضلة فى التفكير عند أداء الأعمال، وهو ليس قدرة إنما هو تفضيل لاستخدام القدرات ويقع بين الشخصية والقدرات، فأسلوب التفكير يشير إلى الطريقة المفضلة التى يستخدم أو يوظف بها الفرد قدراته أو ذكائه، كما أن أساليب التفكير هى الطرق أو المفاتيح التى بها يتم فهم أداء الطلاب.

إن نظرية أساليب التفكير التى قدمها (سيرنبرج) فى العقد الخیر من القرن العشرين تكشف عن خصائص أساليب التفكير لدى الطلاب، وتصنفهم كما يلى:

١- الأسلوب التشريعى: يفضل هؤلاء الطلاب الابتكار والتجديد والتصميم والتخطيط لكل مشكلة وعمل الأشياء بطريقتهم الخاصة، ويميلون لوضع نظام لكل المشكلة، ويفضلون بعض المهن مثل الكاتب والمبتكر والعالم والفنان والأديب والمهندس المعمارى، وابتكار قوانينهم ونظمهم، والتعامل مع المشكلات التى تستثير فيهم الابتكارية.

٢- الأسلوب التنفيذي: يفضل هؤلاء الطلاب التجديد والتصميم والتخطيط لحل المشكلة ويفضلون اتباع التعليمات والقوانين المحددة لهم، ويفعلون ما يطلب منهم، ويتميزون بالواقعية والموضوعية في معالجتهم للمشكلات والتفكير في المحسوسات، والأنواع التنفيذية من المهن مثل: المحامي، ورجل الشرطة، ورجل الدين والمدير.

٣- الأسلوب الحكمي: ويفضل هؤلاء الطلاب الميل إلى الحكم على الآخرين وعلى أعمالهم، وتقويم القواعد والإجراءات، والحكم على الأنظمة، وتحليل وتقويم الأشياء، وكتابة المقالات النقدية، وتقديم الآراء والمقترحات، ولديهم القدرة على التخيل والابتكار ويفضلون بعض المهن مثل: القاضي، والناقد، ومقوم البرامج، وضابط الأمن، والمراقب للحاسبات، ومحلل النظم، والمرشد والموجه.

٤- الأسلوب الملكي: ويفضل هؤلاء الطلاب عمل شيء واحد في المرة الواحدة، وأن الأهداف تبرر الوسائل، ولا يدركون عواقب الأمور، وهم غير واعين نسبياً بأنفسهم، ومتساهلون ومرنون، ولديهم إدراك قليل نسبياً للأولويات والبدائل، وهم حاسمون، ويفضلون الرسم والتاريخ والعلوم والأعمال التجارية، وهم منخفضون في القدرة على التحليل والتفكير غير المنطقي.

٥- الأسلوب الهرمي: ويفضل هؤلاء الطلاب عمل أشياء كثيرة ويأخذون بمبدأ المعالجة المتوازنة للمشكلات، والغايات عندهم لا تبرر الوسائل، ويبحثون عن التعقيد، وهم واعون متساهلون مرنون نسبياً، لديهم إدراك جيد للأولويات منظمون في حلهم للمشكلات وفي اتخاذ قراراتهم، وهم واقعيون منطقيون.

٦- الأسلوب الفوضوي: يأخذ هؤلاء الطلاب بمبدأ المعالجة العشوائية للمشكلات ويصعب تحديد الدوافع التي وراء سلوكهم وأهدافهم غير

واضحة، ويتميزون بالبساطة والمرونة، وهم غير منظمين ويكرهون النظام، ويقومون بعمل الأشياء دون إكمالها، وهم متطرفون.

٧- الأسلوب العلمي: يدرك هؤلاء الطلاب الصورة العامة للموقف أو المشكلة، ولا يميلون إلى التفاصيل، ويفضلون العمل مع القضايا الكبرى والمجردة نسبياً، ويميلون إلى التخيل والتجريد ويسترسلون في التفكير، ويتعاملون مع العموميات ومع المواقف الغامضة ولا يميلون إلى النمطية في الحياة أو العمل، ويفضلون التغيير والتجديد.

٨- الأسلوب المحلى: يميل هؤلاء الطلاب إلى المشكلات التى تتطلب بحث التفاصيل ويتوجهون نحو المواقف العملية، ويستمتعون بالتعامل مع التفاصيل والخصوصيات.

٩- الأسلوب الداخلى: يفضل هؤلاء الطلاب العمل بمفردهم، وهم متطورون ويكون توجههم نحو العمل أو المهمة، ويتميزون بالتركيز الداخلى، ويفضلون استخدام ذكائهم فى العمل وليس مع الآخرين، وإدراكهم بالعلاقات الاجتماعية قليل.

١٠- الأسلوب الخارجى: يفضل هؤلاء الطلاب العمل مع غيرهم، وهم منبسطون يتميزون بالتركيز الخارجى، ويتعاملون بسهولة مع الآخرين ويدركون العلاقات الاجتماعية بوضوح.

١١- الأسلوب المتحرر: يفضل هؤلاء الطلاب عمل الأشياء بطرق جيدة، وتغيير القوانين والإجراءات، ويستمتعون بالتعامل مع المواقف الغامضة وغير المألوفة وهم ابتكاريون فى التعامل مع المواقف.

١٢- الأسلوب المحافظ: يتبع هؤلاء الطلاب طريقة المحاولة الخطأ ويتبعون القوانين والإجراءات، ويتجنبون المواقف الغامضة، ويفضلون ما هو مألوف فى الحياة والعمل، ويتميزون بالحرص والنظام.

إن لكل متعلم صفاته الفردية التى لا يتساوى فيها مع متعلم آخر، والتى تنعكس فى سلوكه وتفكيره وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطة وهذه الصفات قد تكون فسيولوجية كالمظاهر الجسمية والعضوية الظاهرة، كما قد تكون نفسية مثل: سرعة الفهم والإدراك وقوة الملاحظة وإدراك التفاصيل والقدرة على التذكر ودرجة الانفعال، كما قد تكون هذه الصفات مرتبطة بشخصية الفرد مثل: ميله إلى الانطواء أو الانبساط والميل إلى الاجتماع مع الناس أو العزلة والميل إلى السيطرة أو التبعية وغيرها من سمات الشخصية .

ثانيا - تنمية التفكير غاية التعليم:

إن تنمية التفكير هدف أساسى من أهداف العملية التعليمية والتعليمية وصناعة متعلم يمتلك مهارات التفكير العلمى الناقد المبدع يتطلب تصميم الخبرات التعليمية فى مواقف للتعليم تقوم على أسس ومبادئ فى مقدمتها أهداف سلوكية للدرس واضحة ومحددة، ودمج الحواس مع عملية التعلم من سمع وبصر وتذوق وشم ولمس وشعور، لأن استخدام أكثر من حاسة فى التعلم، والسماح للمتعلم أن يتفاعل مع المعرفة بنفسه، ومراعاة تحقيق جوانب التعلم المعرفية والوجدانية والحركية، والمحافظة على دافعية المتعلم نشطة دائمة، وتجديد استخدام الوسائط التعليمية ومراعاة المرونة فى تصميم خبرات التعلم بما يسمح لبطء التعلم الاستمرار فى ممارسة التعلم، وسريع التعلم ممارسة مهام تعليمية أخرى تثرى المحتوى التعليمى وتعمقه، وممارسة المتعلمين للأنشطة التى تثير حماسهم ودافعيتهم، وتعديل الأنشطة التى لا تثبت فاعليتها، ومراعاة أن مدى انتباه المتعلمين يتأثر بكم ونوع الخبرات التعليمية المقدمة لهم، ومتابعة المعلم لتفاعل المتعلمين مع الخبرات التعليمية لتعرف الأنشطة التعليمية التى تستحوذ على انتباههم بقدر أكبر، والوقت الذى تقدم فيه خبرات التعلم يؤثر فى مستوى التعلم،

فما يقدم في صباح اليوم المدرسى غير ما يقدم في نهاية يوم دراسى جعل التعب باديا على المتعلم، كذلك طبيعة الجو الناتج عن فصول السنة يتطلب خبرات تعليمية تناسب كل فصل من هذه الفصول الأربعة، والإمكانات المدرسية المتاحة واتجاهات ومعتقدات المعلمين والموجهين والمدراء وأسلوب إدارة المدرسة، كذلك الإيمان بمبدأ الفروق الفردية وقدرة كل فئة من المتعلمين على التعلم الأمر الذى يتطلب تباينا في الوقت المسموح به للتعلم وطرائق التعلم التى ترتبط بأنماط التعلم لدى المتعلمين فهم مختلفون منهم من يفضل المناقشة، ومنهم من يفضل العمل، ومنهم من يفضل القراءة أو الاستماع.

إن خبرات التعلم وصف لما سيفعله المتعلم، وكيف يفعله أثناء تفاعله مع محتوى الدرس، ولابد من استراتيجية تساعد على امتداد أثر التعلم وتتيح الفرص المتنوعة إثراء وتدعيم وتعميق أثر التعلم وتطبيق ما تم تعلمه من خبرات في الحياة، وهنا لابد من الاهتمام باحتياجات واهتمامات المتعلمين ومشاركة المتعلم في اختيار وتخطيط أنشطة التعلم يساعد في المحافظة على إيجابية المتعلم ونشاطه مع قيام المعلم بدور المرشد والميسر والموجه والمساند والمعزز لخبرات التعلم، وما يتوجب أن نؤكد عليه في مدارسنا هو أن:

- التفكير مهارة يمكن أن تعلم، سواء أكان تفكيراً ناقداً أم فلسفياً أم تحليلياً أم عملياً أم إبداعياً أم علمياً أم منطقياً، ولكل نمط من هذه الأنماط مجموعة من المهارات تميزه عن غيره، وتحدد خصائصه ومواصفاته، وإن كانت هناك مهارات أساسية مشتركة بين هذه الأنماط جميعها مثل التذكر والفهم، وهنا يجب أن ننظر إلى مهارات التفكير كمجموعات مرتبطة بأنماط التفكير، وأخرى عامة بين أنماط التدريس، وكلها يتطلب التدريس الموزع والمران المتكرر من أجل الإتقان.
- التدريس المخطط يحقق تعلم التفكير، حيث النظام التعليمى المستند إلى نظريات علمية ونفسية وتربوية وهنا لابد أن نتبنى مدخل السلسلة أى الاستمرار في تعليم التفكير كمحور لتصميم الدروس من خلال جميع المقررات الدراسية.

- التأكيد على عملية التفكير أكثر من التأكيد على نواتج التعلم، أى التركيز فى أثناء التدريس على الطريقة التى يتبعها المتعلم وخطواته ومسارات تفكيره فى سبيل الوصول إلى حل أكثر من الاهتمام بالحل نفسه، أى أن معرفة المعلم لكيفية توصيل التلميذ إلى الحل أفضل بكثير من التركيز على الحل نفسه.
- مراعاة الفروق الفردية والسماح بالنمو الفردى، وهذا أساس يرتبط بمرونة برنامج التعلم وما يحتويه من خبرات تعليمية وأنشطة تمارس أثناء التدريس وتسمح بظهور التميز الفردى الكامن فى كل متعلم، وتسمح بالفروق الفردية ومطالب كل فئة من المتعلمين ويتم ذلك بإتاحة الفرص للاختيار من بين أنشطة متعددة متنوعة لتقابل التعدد والتنوع فى اهتمامات وذكاوات المتعلمين.
- تهيئة المناخ التعليمى المناسب، حيث إن الشعور بالأمن والثقة من أهم شروط مناخ التدريب المناسب لتنمية التفكير، وكذلك إتاحة الوقت المناسب للتعلم، وتعزيز الاستجابات الناجحة فورا، وتعديل اتجاه التفكير بطرق آمنة معززة ومشجعة فى آن واحد. وهنا لابد من بناء علاقات الود والاحترام والثقة بين المتعلم والمعلم حتى يزداد التفاعل بين المتعلم والمعلم.
- إتاحة الوقت الكافى للتعلم حسب قدرات وطاقات المتعلمين من أجل تنمية مهارات التفكير وتطويرها، والمتعلم يحتاج إلى سنوات من التدريب على التفكير ليصبح مفكرا، ويلاحظ هنا أن البرامج التى تنمى التفكير تحتاج إلى ثلاث سنوات متوالية من التدريب الموزع على خبرات التعلم المناسبة.
- عدم توقع الكثير من برامج تنمية التفكير. برامج تنمية التفكير لا تعطى نتائج سريعة أو عالية مثل برامج التحصيل الدراسى وتحقق نتائج متواضعة يتطلب من المعلم الاستمرار والنشاط وإتاحة الوقت الكافى، ومتابعة عملية النمو، وخطوات التعلم التى يمارسها المتعلمون، واستمراريته فى بذل الجهد لتحقيق أهدافه.

■ استخدام أدوات متنوعة للتقويم قبل توظيف البرنامج وفي أثناء تنفيذه وفي نهايته مع الاستعانة بأدوات قياس نوع المهارات المستهدفة بالإضافة إلى الاستعانة بملاحظات المعلمين والآباء والتقويم الذاتي.

■ الاهتمام ببيئة المنزل والآباء باعتبارها قوة ذات عائد مؤثر في تنمية التفكير، مع وجود أجندة خاصة للآباء تتضمن كل ما تعلمه التلاميذ في المدرسة وأساليب استخدام عقولهم. إن برامج تنمية التفكير لا تنتهى عند باب المدرسة بل تتخطى المدرسة إلى سلوك الوالدين من أجل تعزيز آثار الدور الذى تؤديه تلك البرامج في تنمية تفكير الأبناء.

■ تتبع آثار برامج تنمية التفكير ومدى نجاحها في تعديل سلوك التلاميذ بل إنه على القائمين على إدارة المدرسة والمعلمين الاستمرار في متابعة أثر البرامج والمحافظة على حماسة التلاميذ لممارسة ما تعلموه، وتقديم خبرات جديدة تدعم التعلم السابق من وقت لآخر من أجل المساعدة في الاحتفاظ بأثر التعلم والمحافظة على مستوى الإجابة التى وصل إليها المتعلمون.

■ التحرك السريع نحو تنمية التفكير، حيث إنه من الخطأ تأجيل فرص التعلم فكل يوم يمر في حياة التلميذ دون ممارسة التدريب يؤثر سلباً على ممارسة التفكير وزيادة مهاراته والاحتفاظ بما سبق اكتسابه. نعم تنمية التفكير ليس هو الشيء الوحيد الذى على التلميذ أن يتعلمه في المدرسة، فهناك أوجه أخرى للتعلم لكن المهم الذى يجب أن نعلمه جيداً أن دور المدرسة لا يتحقق إلا بتنمية التفكير وتضمينه في برامجها وفي المواد الدراسية التقليدية في إطار المناهج الدراسية باعتبارها أدوات لتنمية التفكير.

■ توجيه المزيد من الاهتمام لمهارات التفكير المتضمنة في البرامج التى يحتاجها المتعلمون في حياتهم المدرسية وغير المدرسية أى داخل المدرسة وخارجها حتى يتسنى لنا الإبقاء عليها وتوظيفها في الحياة اليومية للمتعلم، وبذلك يصبح لها قيمة في حياته.

■ نجاح برامج تنمية التفكير تتوقف على جهود المعلم، فهو الذى يدعم المهارات ويشجع على استخدامها، ويهيئ المناخ المدرسى لاكتسابها، ويصمم المزيد من البرامج، ويتابع مسيرة نمو المهارات ونواتج التعلم، ويزود الفصول بفرص التفرد الشخصى والعناية بالفروق الفردية واستخدام التفكير فى مواقف متنوعة وهنا لابد من التأكيد على أدوار كليات التربية فى تكوين معلم كفء مدرب على تنمية التفكير من خلال أساليب وأنشطة وبرامج ونماذج للتعلم، كما يجب أن يمتلك المعلم اتجاهات إيجابية نحو مهنته ودوره المؤثر فى تنمية مهارات التفكير.

■ تبنى قائمة مناسبة من مهارات التفكير، لأن تبنى قائمة طويلة وعدد كبير من المهارات التى نود تعليمها للتلاميذ يصعب على المعلم والمتعلم معا الوصول إليها ويتحول الدرس إلى تلقين لا تدريب أو ممارسة، والمفروض أن نعلم تلاميذنا كيف يفكرون، ونتعرف مسارات تفكيرهم .

■ تبنى المنهج العلاجى عند تصميم برامج تنمية التفكير لابد أن يحاول المعلم البحث عن الأسباب وتحديد أنسب أساليب العلاج المناسبة لامتلاك المتعلمين مهارات التفكير، وكشف عوامل عدم نجاح البرامج فى تنمية التفكير لابد أن تراجع البرامج المخصصة لتنمية التفكير من قبل إدارة المدارس وكليات التربية من حيث: المنطلقات والنظريات التى قامت عليها، والأهداف التى تسعى لتحقيقها، والمهارات التى تبتتها، والأساليب التى يجب تنفيذها، وطبيعة الجمهور المستهدف من البرنامج، والخصائص اللازمة لمن يدرس البرنامج من المتعلمين والمعلمين، والعائد التعليمى المتوقع، والمشكلات التى قد يتوقع مواجهتها. وهنا لابد أن تكون هناك إجابة مقنعة ومناسبة لكل محور من تلك المحاور.

إن الأسئلة التى تستحق المدارس والى تثار حول برامج تنمية مهارات التفكير كثيرة من أهمها: أى مهارات التفكير أكثر أهمية حتى تنمى أثناء التدريس؟ وأى مهارات التفكير يجب أن نقوم بتعليمها؟ وكيف يتم تناول مهارات التفكير أثناء التدريس؟ وما حجم الجولات التدريسية التى يمكن أن تعد كافية وتحقيق الأهداف بكفاءة؟ وما أفضل الطرائق التى يمكن أن تستخدم من أجل اكتساب التلاميذ عادة التفكير؟ وما أفضل الطرائق التى تشجع التلاميذ على استخدام التفكير؟ وما أفضل الطرائق التى تشجع التلاميذ على استخدام مهارات التفكير فى الحياة اليومية؟ وما البدائل التى يمكن أن يمتلكها إذا كان هناك دائما عالم جديد فى طريقه للميلاد يتطلب توظيف التفكير، ويتطلب متعلمين أذكاء مهرة قادرين على مواجهة المتغيرات والمستحدثات والتعقيدات والفوضى وتوالد التقنيات وسرعة تطورها، بل والهيمنة العالمية والعولمة المتوحشة التى تقودها أمريكا للسيطرة على مقدرات وثروات الأمة العربية الإسلامية. إن تنمية مهارات التفكير بجميع أنماطه لدى المتعلمين هو الضمانة الأكيدة للمحافظة على هويتنا وأصالتنا وحضارتنا وهو الضمان للدخول إلى عصر المنافسة من أجل الحياة والبقاء.

ثالثا التعليم العصرى والإبداع:

تبنى النظرة النسقية، والوعى بتأثيرات الأنساق المؤثرة على مفهوم المنهج الدراسى ومكونات الأنساق الفرعية له يمثل طرعا للنظرة المنظومية، التى تتفق مع التحولات الضخمة التى يشهدها العالم من حيث العولمة وتأثيراتها الجدلية فى الحياة التعليمية، وبالتالى فى سياق المنهج وأنساقه. وهنا لابد أن نقدم الإطار المفاهيمى للتعليم والتعلم المعاصر، آخذين فى الاعتبار المتغيرات المتسارعة الحادثة فى العالم المتقدم، باعتبارها المصدر الموجه لكل أبعاد الفكر والتطبيق الآنى، التى نستند إليها فى مسيرة تطوير التعليم المتنامية أبدا، وهى أنه:

لا معنى لتعليم عصرى لا يواكب التغيرات المعرفية، ولا يسهم في إحداثها وتطويرها، وما دمنا نسعى في مجتمعنا نحو الوصول إلى المنافسة والتطوير .. فلا بد أن نأخذ في سياق تعليمنا بالمعلوماتية، وما تتضمنه من استخدامات الحاسوب وثورة الاتصالات، والتطورات المعاصرة في مجال الجينات والتكنولوجيا الحيوية، والعلوم الموجهة لفهم البيئة الطبيعية والتعامل الراشد معها، وعلوم الفضاء، والدراسات عبر المعرفية التى نشأت بظهور النظرية العامة للأنساق والسيرناتيقيا، ومنهجية ما بعد الحداثة التى فى مقدمة سماتها التعقد، حيث لم يعد ينظر إلى أهداف العلم باعتبارها الوصف والتفسير والتنبؤ والتحكم، بل تحقيق المزيد من الفهم من أجل تغيير الواقع.

ولا معنى لتعليم عصرى لا يقوم على وظيفتى تحرير الإنسان وتعظيم إسهاماته فى مسيرة التنمية الشاملة المطردة، حيث إن التنمية هى عملية تحرر الإنسان، والإنسان هو هدف التنمية ووسيلتها، والتنمية تمكن الإنسان من تحسين نوعية حياته باستمرار، وصولاً إلى مستوى من العيش يليق به فى بيئة نظيفة. والتعليم هنا هو تعليم للقلب والعقل معا، تعليم كلى متكامل فيه جميع جوانب المتعلم من جسم وإحساس وفكر وعقل وانفعال وخيال وحس وروح فى تركيبه متناغمة للحرية والمسئولية .. تعليم فيه حسن التصرف والسلوك العلمى والعقلانى والإبداع والتحدى والاسترخاء والاعتماد على النفس والاعتماد المتبادل .. تعليم عصرى يرتبط فيه تحرير الإنسان بتمكينه من الوصول إلى المعرفة بصورة مستقلة، وتمكينه من التفاعل معها ونقدها وتوظيفها فى حل المشكلات الحالية والمستقبلية ويرتبط بذلك كله معانى تعليمية جديدة منها: التعلم الذاتى واكتساب مهاراته باعتباره هدفا محوريا للتعليم والتعلم، والنقد وإتقان مهاراته كأساس لتنمية الإبداع ولتطوير البيئة والمجتمع والإنسان المتعلم لممارسة الحرية والانتقاء، وتنمية

الذكاوات المتعددة باعتبارها نامية متطورة لها أهمية متساوية، والالتفات إلى المعرفة الشاملة نظرية وتطبيقية وتكنولوجية، والاهتمام بمتطلبات أساسية للتعليم بتوفير سياق تعليمي يؤدي إلى مشاركة المتعلمين الفعالة في التعلم، وشعورهم بالبهجة والمتعة في الاستزادة من المعرفة، ناهيك عن يسر الحصول على المعرفة واستخدامها وتوظيفها في اتخاذ القرارات وحل المشكلات، وتغيير الذهنية التي تتعامل مع المعلومات من حيث قدرتها على إدراك علاقات جديدة، والتعامل مع معطيات التعقد، إضافة إلى النسق القيمي المتبع في تداول المعرفة.

والتعليم المعاصر يرتبط بإطار قيمي ثقافي؛ حيث لا تقتصر متطلبات إحداث التقدم على التراكم المعرفي ونظام تعليمي جديد، بل يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقلية التي تصنع هذا التقدم بحيث يحكمها إطار قيمي ثقافي أخلاقي حيث التفكير هو منهج الحياة، واحترام الآخر، والنظر إلى الاختلاف باعتباره ظاهرة طبيعية، والاستفادة من استيعاب ونقد المنتجات المعرفية في تطوير الحياة الاجتماعية والتخلص من النظام الأبوي، وتغير النظرة إلى العمل من اعتباره مجرد وسيلة للحصول على الرزق إلى اعتباره مطلبا شخصيا لتحقيق الذات وتحقيق منفعة للمجتمع، والقدرة على العمل في اتساق وانسجام ضمن فريق.

ومعنى ما سبق أن النموذج المقترح للمنهج المعاصر يبنى على فكرة الشمول للجوانب المعرفية وما تتضمنه من مهارات، والوجدانية بما تتضمنه من أخلاقيات من أجل تمكين المتعلم، الذي يعيش الألفية الثالثة من استخدام أدوات جمع المعرفة مستمتعا بممارسة ذلك، ساعيا نحو تنمية ذكاواته المتعددة وتنمية شخصيته بصفة عامة. وهذا معناه أن المنهج المعاصر هو كل تعلم يسعى إلى تحقيق الفهم والاختيار للمتعلم، من خلال التعلم الذاتي المتجدد، وتحقيق نموه إلى أقصى درجة ممكنة، وبحيث يستغرق المنهج المعاصر سلوك المتعلم كإنسان، والتعليم النظامي يتم في

إطار التعلم مدى الحياة، وتعميق قدرات الفهم والاختيار إلى مواقف البحث والنقد واتخاذ القرار، وحيث لا يوجد سقف لما يتعلمه الطالب أو حدود مرسومة مسبقاً للنمو، وتأكيد التعلم الذاتى والذكاوات المتعددة وإمكانية تنميتها، مع مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.

إن تغيير ذهنية القائمين على تصميم المناهج الدراسية وتنفيذها وتقويمها يتطلب النظر إلى المنهج الدراسى؛ باعتباره مجموعة من العناصر والأنساق التى تركز على علاقات متداخلة فيما بينها. وهذا يتضمن أن تغيير أحد عناصر النسق يؤدى إلى تغيير فى عناصره الأخرى، وهذه الأنساق التى يتضمنها المنهج الدراسى تضم بصورة أساسية: الأهداف والمحتوى، ومناخ التعلم، واستراتيجيات التدريس وأساليبه، ووسائل التعلم، والأنشطة المدرسية، والتقويم بأنواعه. وهى مكونات تستند على علاقات متداخلة تتغير دوماً نتيجة للتغذية الراجعة الناشئة عن عملية التقويم، بحيث تمتد عملية التغيير المستمرة إلى أهداف المنهج.

والجديد الذى يجب الالتفات إليه هو أن المنهج جزء من النظام التعليمى، بما يتضمنه من فلسفة وغايات وسياسات وبنى من مراحل التعليم ونوعياته ونظم الالتحاق به، ونظم الإدارة والتمويل، وعملية تكوين المعلم، وحركة البحث العلمى. كما أن النظام التعليمى هو جزء من النسق المجتمعى بما يتضمنه من لغات ومعتقدات ومعايير وجماليات وتركيب سكاني، ومصادر طبيعية، ونظم اقتصادية وسياسية واجتماعية، ودرجة التقدم فى الفنون والعلوم والتكنولوجيا، ووسائل الإعلام، ومجموعات عرقية وأقليات وعلاقات بينية. كما أن النسق المجتمعى هو جزء من النسق الإقليمى، الذى يضم الثقافات من تاريخ ولغة ودين ومعتقدات واهتمامات اجتماعية وسياسية واقتصادية، ومن آمال وطموحات وتطلعات مشتركة، كما أن الأنساق المجتمعية والإقليمية جزء من النسق الإنسانى، بما يشمل من موثيق دولية ومنتجات ثقافية ومعرفية وأوضاع سياسية. وهذا كله يعنى أن المنهج الدراسى نسق فرعى من

النظام التعليمي، الذي هو بدوره نسق فرعي للنسق المجتمعي. كما أن النسق المجتمعي نسق فرعي للأنساق الإقليمية والإنسانية. وهذا يعنى أن المنهج الدراسى نسق مفتوح يؤثر ويتأثر، يأخذ ويعطى من وإلى البيئة التى تتمثل فى الأنساق الكبرى، حيث يتم تشكيل المنهج الدراسى فى ضوء هذه الأنساق، كما أن مخرجاته تؤثر فى هذه الأنساق.

وعليه .. فإن من يتصدى لقضايا المنهج يتطلب بالضرورة وعياً ودراسة واسعة بالنظام التعليمي، والنسق المجتمعي، والإقليمي والإنساني ليس فقط فى أوضاعها الحالية، بل لما يمكن أن تصير وتتطور إليه أوضاعها المستقبلية؛ مما يتجاوز بكثير الأمور الفنية، كما أنه يمكن القول باطمئنان إلى أن تأثير هذه الأنساق تزايد بفعل تأثير العولمة، وفى الوقت ذاته فإن تقويم أداء الطالب والامتحانات المدرسية تؤثر بوضوح على مجمل النظام التعليمي، وما يتبع ذلك من تأثيرات فى الأنساق الكبرى؛ نظراً للاهتمام المبالغ فيه بنتائج عملية التقويم من جانب الطلاب والآباء والمعلمين والمسؤولين عن التعليم.

إن المناهج الدراسية بطبيعتها حساسة للتغيرات المعاصرة فى العلم وفى منهجية البحث، ولذلك فإن ما يجب الاهتمام به فى مناهجنا الدراسية هو:

- لم تعد هناك قوانين بسيطة ومطلقة تحكم الحركة فى الكون؛ فقد أدى ظهور النظرية النسبية إلى رفض الأفكار الخاصة بالفضاء المطلق والزمان المطلق، كما أدى إلى ظهور المبدأ الثانى للثرمودينامية، بما تتضمنه من عدم النظام والتصادم والتشتت إلى قبول فكرة عدم الانتظام فى الكون.
- وحدة المعرفة الإنسانية فقد أدى ظهور النظرية العامة للنسق ونظرية السيبرناطيقيا، وما تبع ذلك من ظهور نظريات تدرس سلوك الأنساق الكلية، مثل: نظرية الكارثة، ونظرية الفوضى، والنظرية عبر المعرفية؛ فلم يعد من الممكن التعامل مع الجزئيات إلا فى ضوء تكاملها فى الإطار الكلى.

- لم يعد البحث محايدا، ولم تعد المعرفة يقينية؛ ذلك أن النظريات العلمية ليست محايدة ثقافيا وقيمية، ولم يعد من الممكن الاعتماد على الضبط التجريبي في تعرف وقائع جديدة، كما أن الوصول إلى نتائج يقينية يستبعدها العلماء بعد ظهور مبدأ عدم اليقين.

- الغرض الأساسى من العلم هو التعلم مع الواقع أى التأثير فيه وتغييره، حيث لم يعد هدف العلم هو الوصف والتفسير والتنبؤ والتحكم وحيث لم يعد معنى الآن للتنبؤ في ضوء عدم اليقينية ذلك أن التنبؤ مشروط، ولا يستطيع الإنسان أن يتحكم في واقع هو نفسه جزء منه، والنظر إلى الواقع يشير إلى أنه متعدد لا مفرد.

- التحام المعرفة وتطبيقاتها التكنولوجية، حيث يتعذر الفصل بين النظرية وتطبيقاتها وما ينشأ عنها من منتجات. كما أن هناك تطورا في تقنيات الاتصال والقياس ووحداته والحاسوب والإنترنت والبرامج الخاصة بالحساب العلمى، فضلا عن الآثار التربوية المترتبة على ذلك.

- توصف جملة الأوضاع المعاصرة للعلم بالتعقد، كما توصف الأساليب التى يتم التعامل بها معها بمنهجية التعقد. وهذا الوضع يتطلب تنمية النظرة الكلية، وتنمية العادات الفكرية والسلوكية المتصلة بالحوار والتعرف على مصادر المعرفة المتاحة، والتأمل فى المعرفة التى أمكن الوصول إليها ومناقشتها وإبداء الرأى فيها ونقدها، ثم تنمية حساسية خاصة نحو ملاحظة وتعرف الأمور الغريبة، والسعى نحو إثارة التساؤلات حولها واكتشاف سرها، ثم التدريب على طرح عدد من الاحتمالات ومناقشة كل منها وتداعياتها، وممارسة العمل الجماعى فى صوره وأشكاله المختلفة باعتباره شرطا أساسيا للتعامل مع التعقد، وقد يأخذ صورة الحوار أو العصف الذهنى أو فرق العمل والبحث الجماعى أو اللعب أو الأداء

الرياضي أو المسرحي أو تنظيم الندوات واللقاءات. وتنمية اهتمامات مستقبلية باستخدام الخيال العلمي والتساؤلات باستخدام ماذا لو حدث .. وعن احتمالات المستقبل في مجالات محددة، والإطلاع على بعض الدراسات المستقبلية ونقدها، والمشاركة في إجراء دراسات مستقبلية مبسطة.

إن الأخذ بهذه التوجهات الجديدة يترتب عليه تغيرات قيمة ومجتمعية ومعرفية، على مستوى الطالب والمعلم والمدرسة والشارع ومكان العمل والمنزل، ومستوى التعليم النظامي وغير النظامي، ومستوى جماعات الضغط الاجتماعي، التي تؤثر تأثيرا سلبا على مسيرة تطوير التعليم المتنامية من أجل تشكيل إنسان للألفية الثالثة.

إن الإبداع هو أرقى مستويات النشاط الإنساني، وأكثر النواتج التربوية أهمية؛ خاصة في المؤسسة التعليمية المدرسة والجامعة في الألفية الثالثة، كما أنه نوع من التعبير الذاتي، وعند تقويم المتعلم والمؤسسة التعليمية وعضو هيئة التدريس يجب أن تحث وتشجع على إنتاج شيء جديد، أو مختلف يحمل في الوقت ذاته طابع التفرد والقيمة في المجتمع. وإذا كان الإبداع نوعا من التفكير التباعدي الذي هو نوع من التفكير الإنتاجي، الذي يجب أن ندرب عليه المتعلم لينتج حلولاً متنوعة متعددة للمشكلة الواحدة دون أن يكون هناك اتفاق مسبق على محكات الصواب والخطأ. ومن هنا توجب القول بأن عمليات الذاكرة والفهم والتطبيق والاستدلال، رغم أهميتها، تنتمي إلى التفكير التقاربي، ويظل الإبداع فئة وحده تنتمي إلى التفكير التباعدي. من هنا فإن الامتحانات تصحح أسئلتها في ضوء مفتاح أو نموذج للإجابة يعد مقدما، ولكن ينص في الوقت ذاته على أن تقبل الإجابات الأخرى المشابهة.

إن النقلة النوعية في التقويم والتي يجب أن يدرب عليها المعلمون وأعضاء هيئات التدريس هي المطلوبات، التي يجب أن تتوافر في الأسئلة أو المواقف أو

المشكلات أو المهام التي تطرح على الطالب، ويأتى في مقدمتها: جدة أو اختلاف المهمة التي يؤديها في مواقف التقويم الإبداعى عن تلك التي تستخدم أثناء التدريس، بل يمكن للطالب أن يعد بنفسه المهمة أو المشكلة، أو على الأقل تتوافر له الحرية في إعادة تحديدها، وتنوع المراجع والمواد والمصادر والأدوات، التي يمكن أن يستخدمها الطالب في تناول مشكلة أو سؤال التقويم، وأن تتوافر هذه المواد للطالب أثناء حله للمشكلة حتى يستخدمها عندما يحتاج إلى ذلك، وعليه .. فإن أسئلة الإبداع يمكن أن تكون من نوع أسئلة الكتاب المفتوح، وفيها يمكن للطالب أن يستخدم مذكراته أو مراجعه ومصادر المكتبة وغيرها، طالما يجدها ملائمة لحل المشكلة.

كذلك تتحدد طبيعة الإنتاج الإبداعى لمهمة التقويم في ضوء الهدف التعليمى الذى يسعى المعلم إلى تقويمه مثل إبداع شىء جديد، إبداع خطة عمل أو بحث، شريطة أن تثبت الدرجة أمام كل سؤال في الورقة الامتحانية، وحبذا أن يحدد سؤال واحد في الورقة الامتحانية للمبدعين أو المتميزين حتى نتخلص من شكوى بعض الآباء والمعلمين التقليديين من صعوبة أحد الأسئلة التي تميز بين الطلاب على أن ينص عليه في الورقة الامتحانية في كل مادة دراسية، وتمثل درجته ٢٠٪ من الدرجة الكلية للامتحان.

ويجب أن ننبه هنا إلى أن هذا السؤال، أو هذه المشكلة المهمة لا تعنى أن تكون أسئلة أو مشكلات التقويم للإبداع جديدة على الموضوعات التي درسها الطالب، لأنها حينئذ تتحول إلى ألغاز منبته الصلة بموضوع التعليم، وإنما يقصد أن تكون المهمة جديدة على الطالب، ولم يسبق له أن تدرب على طرق حلها، وإلا فإن حل المشكلة حتى لو كان إنتاجيا يتنمى مرة أخرى إلى الحفظ أو الذاكرة أو التفكير التقاربى، وليس إبداعا جديدا للطالب، ويمكن أن نثبت في ورقة الأسئلة عقب

هذا السؤال القوانين أو النظريات التى يسترشد بها فى التوصل إلى الحل حتى نتخلص من الحفظ والترديد.

إن تطوير ورقة أسئلة الامتحانات على أساس هذا السؤال المخصص للمبدعين سيؤدى إلى تطوير أساليب التدريس، والتخلى عن الدروس الخصوصية التى تكرر الحفظ والاستظهار، أو التدريب على نمط محدد ومحفوظ للأسئلة حتى أصبحت كأنها قوالب جامدة، وأنماط معروفة مسبقا ينسج المعلمون الخصوصيون على منوالها دون كبير عناء. كما أن تخصيص ٢٠٪ من درجة كل ورقة امتحانية للمبدعين يحقق التمييز الفعلى بين مستويات الطلاب، ويقدم للجامعات عبر مكتب التنسيق أمهر الطلاب، وهم الحاصلون على ٨٠٪ فأكثر من درجات امتحان الثانوية العامة، وأعتقد أنهم لن يتجاوزوا ٢٥٪ على أحسن تقدير من أعداد الطلاب الناجحين فى امتحانات الثانوية العامة.

إن سؤال الإبداع يتم تقويمه فى ضوء: الطلاقة وتقاس بعدد الاستجابات التى تصدر عن الطالب بالنسبة للسؤال أو المشكلة، والمرونة وتقاس بعدد الفئات التى يمكن أن تصنف إليها استجابات الطالب بالنسبة للسؤال أو المشكلة، ثم الأصالة وتقاس بدرجة ندرة أو جدة الاستجابات التى تصدر عن الطالب بالنسبة للسؤال أو المشكلة. وتحدد الندرة أو الجدة فى هذه الحالة بتكرار هذه الإجابات. فإن كانت الاستجابة تصدر عن عدد كبير من الطلاب فإنها تصبح مألوفاً وشائعة، أما إذا كانت لا تصدر إلا عن عدد قليل من الطلاب، فإنها تكون أقرب إلى الندرة أو البعد أو الجدة أو عدم المألوفية، وتعطى حينئذ درجة أعلى.

إن انشغال المؤسسة التعليمية بتنمية الإبداع مسألة أساسية وضرورية حيث إنه يساعد على تحقيق الذات، وتطوير المواهب الفردية، وتحسين النمو الإنسانى ونوعية الحياة، كما أن المبدعين يسهمون فى إنتاجية المجتمع برمته ثقافيا وعلميا واقتصاديا، أقول ذلك على الرغم من أن أحدا من الحائزين على جائزة نوبل أو من الفنانين

العالميين المشهورين لم يقل إن إنتاجه الفذ مردود إلى تدريبات أجراها من أجل تنمية إبداعه، وهذا من شأنه أن يقضى إلى التساؤل عما إذا كان تدريب الفرد على الإبداع هو أفضل الوسائل لتنمية الإنتاج المبدع للمجتمع.

إن هذا القول يجعل الإبداع للندرة وليس سلوكا مكتسبا .. إننا يجب أن ننظر إلى الإبداع بأنه مجال متميز محصور في القدرة على تطبيق المعرفة المكتسبة على المشكلات الجديدة بطريقة غير مألوفة وفعالة، فإن المؤسسة التعليمية في هذه الحالة لا تواجه فقط الإمكانية الحقيقية لتنمية الإبداع، بل من واجبها أن تؤديه.

إن ثمة قدرات معرفية لأنشطة المؤسسة التعليمية لها نصيب وافر منها، وهى من الشروط اللازمة للعمليات الإبداعية، من أهمها: التفكير الافتراقى، والمرونة والأصالة، وتحديد المشكلة واقتراح حلول متنوعة لها، وكلها وسائل وتمارين لتحسين القدرات الإبداعية. كما أن الإبداع يستند أيضا إلى قيم واستجابات انفعالية للأفكار الإبداعية الأمر الذى يتوجب توفير جو من الحرية والتسامح والبهجة، داخل قاعات الدرس مزارع الفكر البشرى، إضافة إلى إثارة البواعث الجوانية بدراسة مشروعات، والسماح بالاختيار فى المقررات طبقا لاهتمامات الطلاب، والدراسة الذاتية، مع حث الطلاب على الاكتشاف، وممارسة الأنشطة والقراءة خارج المقرر، وإجراء البحوث القصيرة، وتنويع الآراء فى المسألة الواحدة، والسماح بتأويل النص، والقيام بتكليفات فى المكتبة مستقلين، ومشاهدة أساتذتهم وهم يفكرون ويكتشفون مشكلات جديدة، ويسيرون فى طرائق غير مألوفة للبحث والتأويل التأكد من صدق الفروض، والتدريس باستخدام أكثر من منظور بأسلوب حل المشكلات.

إن الأداء المبدع يتجسد دائما فى مناخ اجتماعى مشجع مفعم بالتوجيه المرن والعمل الجاد، ومتابعة الاهتمامات الفردية والعلاقات الاجتماعية الإيجابية، وبهجة

التعلم. إن الحوار والعصف الذهني وتوزيع الأدوار يعين الطلاب على التعبير عن أفكارهم والإفادة من أفكار الآخرين، كذلك التعلم بالحوار والتعلم في مجموعات صغيرة، والعمل بشغف في ميدان المعرفة ضروري لمدة طويلة لإنتاج اختراعات تفيد المجتمع؛ شريطة أن يكون مداومة التواصل في موضوع محدد، وبلا قيود، وتشجيع التخطيط الطويل الأمد، والتكيف مع المشكلات، واعتبارها منطوية على الإبداع، ولذلك تعد المهارة في حل المشكلات هدفا تربويا وتنمية المعرفة التي لها علاقة بحل المشكلات، ومرونة النظام المدرسي في تقديم مقررات متنوعة تسائر المواهب والاهتمامات، يضاف إلى ما سبق انشغال القيادات التعليمية داخل المؤسسة التعليمية بالإبداع؛ حيث إن ذلك ينشط التفكير الإبداعي، وتضمن المناهج علوم ما بينية، ودروسا في المشروعات، واستخدام التقنيات المتقدمة، وأساليب العمل الجماعي، وممارسة أساليب الملاحظة والقياس والتسجيل والموازنة، والترحيب بالأفكار الجديدة والحلول غير المألوفة من قبل المعلمين وأعضاء هيئات التدريس، وإخضاع الأفكار للنقد والتقييم؛ الأمر الذي يتطلب الاهتمام بالكيف لا الكم في المقررات الدراسية.

إن تغيير النظام في المؤسسة التعليمية حتى يكون الإبداع موضع تقدير يتطلب عدة خطوات، هي: تقييم النظام المدرسي من خلال تشجيعه للإبداع، ومن حيث الإنتاجية التعليمية، وإجراء البحوث، ووضع مناهج جديدة، وتنظيم الفصول وتدريب المعلمين، والتدعيم العلمي، وتوظيف نتائج الأبحاث النظرية للعلوم التربوية والنفسية، ومراعاة تنوع النظام لمراعاة المواهب الإبداعية المتنوعة.

إن قراءة متأنية للخبرات التي رفدها بحوث سيكولوجية وتربوية غير عربية، تشير إلى مفاهيم أساسية لازمة لتشكيل بيئة تعليمية ثرية لاستزراع الإبداع، تأتي في مقدمتها: أن تنسيق المعلومات مطلوب لحل المشكلات حلا إبداعيا، كما ينبغي لفت النظر إلى أن الأفكار المبدعة غالبا ما تلازمها وجهات نظر كلية وخيالات وتمثيلات

بسيطة، ثم إن ثمة عمليات معلوماتية معقدة لا تسير مبادئ التفكير المنطقي، كما أنه من اللازم إعطاء الفرصة لكل إنسان لتنمية مهارات الفردية في حل المشكلات، على أن يكون ذلك في إطار قدرته العقلية ومجاله المهني، وتنمية الإبداع لا تستقيم مع المساواة بين كل الطلاب.

وفي الإمكان رعاية الميول والقدرات الإبداعية في جميع مراحل النمو، فلكل طالب الفرصة في تنمية ميوله وقدراته، ومن أجل تشكيل الإبداع ينبغي مراعاة جميع جوانب البيئة. والمادة التعليمية مهياً لتدعيم تنمية الإبداع في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والرياضيات على السواء، وفي العلوم البيئية على وجه الخصوص، والأفكار الإبداعية يشترط فيها أن تكون ذات قيمة للمجتمع، ومن ثم فهي تستند دائماً إلى أحكام ذاتية في الوقت ذاته هي قادرة على أن تحدث اتصالاً بين البشر.

إن من أهم سمات المناخ الإبداعي: تشجيع حب الاستطلاع، وإثارة عمليات التفكير الافتراضي، وهذا يعني: أن المؤسسة التعليمية مزودة بمواد متنوعة ومنشطة ولكن بشرط ألا تكتظ قاعات الدرس بالطلاب، وأن تكون الأسئلة متنوعة تثير اهتمامات الطلاب وحب استطلاعهم، وتدعم التلقائية، وأن تترك الحلول ليكتشفها الطلاب.

إن تطوير العملية التعليمية في ضوء الإبداع يتطلب إعادة النظر في نوعية القيادات التعليمية داخل المؤسسة التعليمية، ومواصفات هذه القيادات، وكفاياتها ومهاراتها ومعتقداتها، وأسلوب إدارتها للمؤسسة التعليمية تتساوى في ذلك المدرسة والكلية الجامعية، كما يتطلب إعادة النظر في نوعية المعلمين وهيئات التدريس، وكيفية إعدادهم في كليات التربية التي أشارت الخطة الاستراتيجية لتطوير منظومة التعليم العالي في مشروعاتها المقترحة للتطوير إلى ضرورة إعادة هيكلة كليات التربية وإعداد المعلمين؛ حتى تعد معلماً جديداً يمكن أن يوائم

الاحتياجات المستقبلية المطلوبة في خطط التطوير والارتقاء بمستواه، حتى يقوم بدوره المطلوب في تطوير العملية التعليمية، بل وضرورة الارتقاء بدور كليات التربية في تأهيل وتنمية أعضاء هيئات التدريس بالجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة بحيث تكون الدراسة بها ملزمة لكافة القائمين بالتدريس قبل تعيينهم، وتكوين وتنمية كوادر هيئات التدريس بكليات التربية لمواكبة خطط التطوير، والتي تتطلبها المرحلة الجديدة؛ ذلك أن تشكيل بيئة تعليمية ثرية تنطوي على تنمية الإبداع ليست مسؤولية الوزير أو رئيس الجامعة، بل هى مسؤولية مديري المدارس ومعلميها، وعمداء كليات الجامعة وأساتذتها إذا كانوا على وعى ودراسة بمفهوم الإبداع، وإذا كانوا منشغلين به، وبالشأن العام وبالمصلحة العامة، وبتوجهات وأهداف التعليم الجامعى وما قبل الجامعى، وإذا كانوا على وعى ودراية بتوصيات ونواتج المؤتمرات القومية التى أثرت مسيرة التعليم، واللقاءات التناقشية والحوارية؛ من أجل تشكيل إنسان مبدع ومشارك يمتلك الرأى والرؤى.

إن هناك أسئلة تحتاج إلى إجابات من أجل نقلة توعية فى التعليم، هى: ما الإبداع؟ وما صفات الطلاب المبدعين؟ وهل يمكننا تنمية الإبداع داخل المؤسسات التعليمية: المدارس والجامعات؟ وكيف نمارس التعلم للإبداع فى مختلف المراحل التعليمية؟ وما الصعوبات التى تواجه ثقافة الإبداع فى مدارسنا وجامعاتنا؟ وكيف يمكن مواجهتها؟ وما البدائل والخيارات المطروحة على الساحة التربوية داخليا ودوليا للانتقال بالتعليم من صيغ غائبة، ولتنمية مهارات التفكير والتحصيل معا، ولتحقيق التناغم بين ثقافة الإبداع وثقافة الإبداع؟

الإبداع مجموعة من القدرات، أهمها: الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والحساسية للمشكلات، والتحليل والتركيب والتقويم. والطالب المبدع قادر على إنتاج حلول متعددة تتسم بالتنوع والجدة، فى ظل مناخ عام يسوده التألف والاتساق بين مكوناته. ويشترط أن ما يقدمه يكون جديدا وأصيلا وذو قيمة فى مجاله. ويظهر الإبداع بشكل

مميز لدى الأفراد الذين يتوافر لديهم حب الاستطلاع والدافعية والخيال، والرغبة في اقتحام المجهول والغامض، وعدم الامتثال للأعراف والقواعد الجامدة وكذلك الاستقلالية في التفكير، والنظرة إلى الحياة بمرونة. كما أن الطالب المبدع يتميز بالشجاعة الأدبية والإقدام واستكشاف البيئة المحيطة، والالتزام بالعمل والمثابرة والثقة بالنفس، والانفتاح على الجديد والتفاعل معه، وحب التجريب والرغبة في ممارسة المهام الصعبة، وحب المغامرة والمخاطرة والتوليد السريع للأفكار والتعبير عنها بطلاقة، وتحمل المسؤولية وروح المرح.

إن تنمية الإبداع تتطلب التدريب والتعليم وإتاحة الفرص للتعلم، والبيئة التعليمية التي تتسم بالحرية والتسامح والبهجة؛ بحيث يسمح للطلاب بتفسير الملاحظات وتكوين الفروض والوصول إلى نتائج جديدة واستدلالات واقعية من خلال الحوار والتناقش والبحث واكتشاف العلاقات الجديدة بين الأفكار وتحويل الأفكار إلى أحداث تهم الطلاب، وتقديم مقررات الدراسة على شكل مشكلات تعليمية تتطلب حلولاً متنوعة، وإعطاء الطلاب فرصاً للتفكير فيما يصادفهم من مشكلات، وتشجيعهم على طرح الأسئلة، وحثهم على النشاط التعاوني والمناقشة والحوار والنقد، واحترام الأفكار الجديدة التي يقدمها الطلاب، وتشجيعهم على الاستقلالية، وتوفير جو خلاق مبدع والاهتمام بالتطبيقات لما يدرسه من معلومات وظيفية، واعتبار المكتبة محور النشاط التعليمي ومركز التعلم، والكتاب المدرسي أحد مصادر التعلم، وتوسيع العناية بالأنشطة المدرسية والجامعية أدبية وعلمية وفنية واجتماعية، والسماح بالاختلاف في الرأي وفي تأويل النص واستخدام المجاز والخيال الابتكاري.

إن التربية للإبداع ممكنة لكل الطلاب على اختلاف مستوياتهم التعليمية. والتعليم قد يطلق السلوك الإبداعي عند الطلاب وقد يخمد، فالتعلم للإبداع

يشعر الطالب بالمشكلات فى المعلومات التى يحصل عليها، مع تجميعه لهذه المعلومات وإعادة تركيبها بطريقة تساعد على تحديد الصعوبات، وتعرف العناصر المفقودة مع البحث عن الحلول المتنوعة، ووضع التخمينات وجمع المعلومات وصياغة التعبيرات وصولاً إلى الأهداف المنشودة.

وهنا لابد للمعلم من ربط الخبرات جديدة بقديمها وتحديد المراجع والمواد التعليمية التعليمية التى تساعد فى تنفيذ مواقف التعلم، والإفادة فى ذلك من إمكانات المؤسسة التعليمية والموارد المتاحة والجهود الذاتية وإسهامات الآباء والمجتمع المحلى، وممارسة الأنشطة داخل المعامل والملاعب والمكتبات على أن تتاح الفرص أمام كل طالب للتعلم الذاتى فى حرية مسئولة، وتنوع أسئلة الاختبارات وخاصة امتحان الكتاب المفتوح، وعرض المادة على شكل مشكلات ليست لكل منها حل واحد، وتشجيع الطلاب على التجريب والمرونة والتخيل: فالخيال قلب الإبداع، والترحيب بكل جديد: أسئلة ومقترحات وحلول وأفكار، وهذا يتطلب تنوع أساليب التعليم والتعلم، واستخدام الدراسات العملية التطبيقية التجريبية واستشارة الطلاب وتحدى تفكيرهم باستمرار وإتقان مهارات التفاوض وثقافة الحوار وسيادة العلاقات الإنسانية الحميمية داخل قاعات الدرس مزارع الفكر البشرى الديمقراطى.

إننا يجب أن نتخلى عن معوقات الإبداع فى مؤسساتنا التعليمية، كما يجب أن نتخلى عن أفكارنا القديمة ومفاهيمنا المتوارثة القائمة على توهم امتلاك الحقيقة بدءاً بأسلوب إدارة المؤسسة التعليمية من حيث وجود الاتجاهات التسلطية، والرأى الواحد، والبيروقراطية، والدجاطيقية، والظروف البيئية غير المواتية، وتضييق شرايين الإنفاق على التعليم، وتكبل حرية عضو هيئة التدريس وسيادة الأنظمة التقليدية والتمسك بمفهوم التعليم للامتحانات، والخضوع لقوى الضغط الاجتماعى من آباء وإعلام مسموع ومرئى ومقروء.

كما أن أساليب إعداد المعلم في كليات التربية أساليب نظرية تقليدية تخرج المعلم الملقن المتسلط غير المتقن لأساليب تحصيل المعارف أو التقنيات الحديثة أو اللغات الأجنبية، إلى التدنى في: امتلاك مهارات اللغة العربية، ومهارات التعلم الذاتى وعدم ممارسة الأنشطة التربوية، وعدم تطبيق الأساليب الحديثة في التعليم، أو توظيف المكتبة لخدمة المناهج الدراسية، أو ثقافة التفاوض في التعامل مع الطلاب، ناهيك عن حرمان القائمين على التوجيه الفنى من التدريب الحديث على الإدارة والتعامل الديمقراطي أو تعميم تجارب التدريس الناجحة، أو مهارات الشفافية في نقل واقع الفصل الدراسى والعلاقات البينية إلى القيادات التعليمية، أو مهارات اتخاذ القرار وتعديل المسار.

يضاف إلى ذلك كله أن متابعة إنجاز المعلمين للمقررات الدراسية لها الأولوية على ثقافة الإبداع، وحيث إن إبداع المعلومات وتخزينها يقدم على العملية الإبداعية كهدف تربوى يركز عليه متخذو القرار في جميع توجيهاتهم واجتماعاتهم؛ الأمر الذى يتطلب تجسير الفجوة بين التخطيط والتنفيذ والتقويم، الأمر الذى يتطلب مزيدا من الجهد والعطاء والتواصل من جهة بين المراكز التربوية والمراكز العلمية وبين المدارس والجامعات باعتبارها رافدا بالتجارب والأفكار الإبداعية المخصصة، وحيث تتحقق فكرة التجريب قبل التعميم في المدارس مصانع البشر.

إن تنمية ثقافة الإبداع تتطلب تطبيق نتائج البحوث التربوية التى أجريت في بيئات مصرية، وكذا التجارب الناجحة التى احتضنها بعض المعلمين الأكفاء، وتوصيات المؤتمرات القومية التى عنت بتطوير التعليم والتى شارك فيها الممارسون الميدانيون والمتخصصون الأكاديميون والتربويون والأكاديميون، غير أن الحرية المسؤولة والتسامح وبهجة التعلم لابد أن تكون العمد التى تشرى وتشكل بيئة تعليمية مبدعة، كما أن طرائق التدريس الإبداعى تتطلب الوعى والقناعة والحماسة

لاستخدام التعليم بالحوار والعصف الذهني والدراما التعليمية والألعاب والمباريات التعليمية وحل المشكلات والتعلم الذاتى والمشروعات والمناظرات والاكتشاف الموجه والتعليم الخبرى والتعلم التعاونى.

إن التنوع بين هذه الطرائق أمر ضرورى وأساسى، وتدريب أعضاء هيئات التدريس عليها ضرورة تربية لتصنيع وهندسة إنسان مبدع، باستخدام ورش العمل والتدريس المصغر والمحاضرات المحسنة ووحدات التعليم المصغر، والأنشطة التعليمية، ناهيك عن التقويم باستخدام البحوث القصيرة، ونقد الكتب، والاختبارات القصيرة، وجمع المعلومات من المكتبات، وإقامة المشروعات، وتطبيق الأفكار ميدانيا فى المؤسسات المجتمعية، والاختبارات الموضوعية والمقالية المستمرة، وممارسة الأنشطة، وإنتاج الأفكار الجديدة، وتقديم الحلول المتعددة للمسألة الواحدة.

إن حرية التفكير وحرية التعبير مكفولتان للمخططين والممارسين والمقومين فى مجال التعليم منذ مراحلہ الأولى وحتى نهاية التعليم الجامعى، والمسؤولية ملقاة على كاهل أعضاء هيئات التدريس والمعلمين فالتطوير ينبع منهم ولا يفرض عليهم، إذا صدقت النوايا وحسنت الضمائر.

رابعاً التفكير المتشعب وتحرير العقل:

إذا تشابهت أفكار الناس فلا أحد يفكر، كما أنه لا عائد تربوى يرجى من المؤسسات التعليمية ما لم تسع إلى تنمية التفكير المتشعب لهندسة وتصنيع جيل المستقبل من أجل مستقبل الجيل، وما لم تسع إلى تحرير الإمكانيات العقلية لدى الطلاب توظيفاً لنتائج أبحاث العقل البشرى التى عنيت أيضاً بالأسلوب الذى يتم به إدراك الواقع واستيعاب محتوى التعلم وتنظيماته فى بنية العقل البشرى على نحو فريد ومتميز، مؤكدة دور كل من الشعور واللاشعور فى عمليات التعلم، ودور الانفعالات والمشاعر فى تنظيم المحتوى المعرفى للعقل وقابلية التعلم على النمو

داخل العقل، وأهمية الانتباه فى مواقف التعلم وفى مساعدة الذاكرة على رسم خرائط على شبكة الأعصاب تسمى خرائط العقل، والتي تتوقف كفاءتها على جودة عمليات التعلم، وعلى قدرة الاحتفاظ بالانتباه طوال مواقف التعلم، وعلى وضوح معنى ما تم تعلمه، وعلى أساليب ربط التعلم السابق بالتعلم الجديد، وعلى عمليات التحليل والتصنيف والتركيب التى يتم ممارستها أثناء التعلم، ومن ثم تسمى خرائط العقل، والتي رسمت على شبكة الأعصاب بالمخ ذات مستوى عال من القدرة والكفاءة.

إن المؤسسات التعليمية عليها أن تؤكد أهمية حاجة العقل إلى القدر المناسب من المثيرات، وإلى نظام مناسب من التغذية الراجعة كى يحدث التعلم، وحتى يتمكن العقل من معالجة مواقف التحدى بمثيراتها المختلفة حيث يتم الإدراك من خلال طبقات عديدة من التنظيم الذاتى، وحجم ضخم من نظام الاتصال بين العناصر التى سبق تعلمها، والعناصر الجديدة التى تحتاج إلى استدخال فى العقل، ثم عمليات تمييز وتفریق وتحليل وتصنيف فى محاولة استيعاب محتوى التعلم وتمثله فى بنية العقل والوصول لحالة من الاستقرار الذهنى المؤقت لحين التعرض لمثيرات أخرى.

إن بنية العقل وعملياته هى استجابة مباشرة لتعدد العوامل البيئية التى تواجه المتعلم، ومن ثم فإن بنية العقل لا تتضمن المحتوى المعرفى فحسب لما مر به المتعلم من خبرات لكنها تتضمن المشاعر والانفعالات المصاحبة لتلك الخبرات، وتضمن أيضا التصورات الشكلية للأداءات اللازمة لممارسة الأعمال التى تحتاج إلى تآزر عضلى عصبى، والتخيلات الذهنية لما يصعب إداركه بالحواس، والعمليات العقلية التى تدرب العقل على القيام بها أثناء مواقف التفاعل، ولا يوجد عقلاان متشابهان تماما فى محتوَاهما، أو فى الطريقة التى ينظم بها العقل محتوى التعلم الذى يتم

استيعابه، أو في الطريقة التي يتعامل بها العقل أثناء مواقف التفاعل، إذ إن لكل عقل بنيته التي هي نتائج لإعمال الذهن الخاص به، والذي يتم في ضوء عدد من المحددات البيئية، والاعتبارات النفسية والعقلية والاجتماعية.

وتتوقف كفاءة البنية العقلية للمتعلم على صحة مستوى التعلم الذى تم استيعابه، وسرعة الإدراك السليم لعناصر التعلم، وسرعة المسارات التى تسلكها محتويات البنية العقلية عند الحاجة إليها فى مواقف التفاعل، وحجم الاتصالات وقوة الارتباطات التى تحدث بين عناصر التعلم السابق وعناصر التعلم الجديد، وسرعة إعادة تعديل وتشكيل محتوى بنية العقل فى ضوء ما تم إدراكه، والقدر الذى ينعم به الفرد من الرعاية والاهتمام والأمن والتقدير، أو الذى يعانى فيه الفرد من الخوف والتهديد والقهر والإحباط.

ويجب على المؤسسات التعليمية أن تسعى إلى رفع مستويات كفاءة العقل البشرى للمتعلم وإمكاناته من خلال توافر استراتيجيات فعالة فى عمليات التعلم، من شأنها ليس فقط تيسير عملية الاستيعاب، بل أيضا تدريب العقل على سرعة إصدار استجابات فعالة ومناسبة لطبيعة المواقف التى هو بصدد التفاعل معها، وعلى نحو يساعد به المتعلم نفسه على تطوير أدائه، وإحداث تغييرات جذرية وفعالة فى البيئة من حوله وفيمن حوله من البشر المحيطين به. ومن بين تلك الاستراتيجيات التى تلقى اهتماما فى تنمية إمكانات العقل البشرى للمتعلم استراتيجيات التفكير المتشعب.

إن على مؤسسات التعليم أن توجه الانتباه نحو استراتيجيات التفكير التباعدى نظرا لدورها فى تنمية التفكير المتشعب، باعتباره تدريبا يساعد فى بناء خلايا الأعصاب، ذلك أن التشعب فى التفكير يساعد على حدوث اتصالات جديدة بين الخلايا العصبية، تسمح للتفكير بأن يسير عبر مسارات جديدة لم يكن يسلكها من قبل، وعلى نحو يساعد فى إتاحة إمكانية جديدة لعقل المتعلم، تسهم فى

إحداث مزيد من إعمال الذهن وبما يقود العقل للعمل بإمكانية أفضل وعلى نحو أسرع وبكفاءة أعلى من ذي قبل.

هذا فضلا عن أدوار التفكير المتشعب في تحسين إصدار الاستجابات التباعدية والتي تساعد في بزوغ الإبداع. وعلى الطرف الآخر من التفكير التباعدي يوجد التفكير المحدود التقاربي والذي يتمثل في التذكر والفهم والتطبيق والتحليل، وهو تفكير مهم في العملية التعليمية مع مراعاة ألا نتوقف عنده، وأن نتجاوزه إلى تنمية التفكير التباعدي، حيث إن التفكير التقاربي أساس لممارسة التفكير التباعدي، والذي يتطلب الانطلاقة الفكرية، والانفتاح على الأفكار، والتأليف بين الأشتات.

إن العمليات العقلية التي تتطلبها المؤسسات التعليمية، والتي تعكس التفكير المتشعب أو التي يساعد التشعب في التفكير على حدوثها تتمثل في إدراك العلاقات الجديدة، وإعادة التصنيف في ضوء ما تم إدراكه، وإجراء عمليات تأليف وتركيب وتقديم رؤى جديدة وإدخال تحسينات. وتلك هي العمليات التي تكشف عن الإبداع والتي يسهم التفكير التباعدي في تنميتها.

وعلى هذا النحو.. فإن التفكير المتشعب هو ما يحدث من اتصالات جديدة بين الخلايا العصبية على شبكة الأعصاب بالمنخ، وأن التفكير التباعدي باستراتيجياته يمكن أن يسهم بفاعلية في تنمية التفكير المتشعب، وأن صدور الاستجابات الإبداعية هو مؤشر على حدوث تشعب في التفكير، وعلى ارتقاء إمكانات العقل البشري، وإن مستوى الاستجابات التباعدية الصادرة هي تعبير عن مستوى الإبداع أو مدى اقتراب المتعلم منه.

ونظرا لأهمية التفكير المتشعب ودوره في قيادة العقل لابتكار وصلات والتقاءات جديدة بين خلايا الأعصاب مشكلا مسارات تسمح بحدوث عديد من

الاتصالات بين محتويات الخلايا العصبية المكونة لبنية العقل، تغير عديد من المفاهيم حول التعلم الثرى، والذي ينبغى أن يتاح فى إطار المؤسسات التعليمية وبرامجها ومناهجها ومقرراتها المتعددة المتنوعة. ومن ثم أصبح على عمليات التعليم والتعلم ليس فقط ضمان استيعاب المتعلمين محتوى التعلم المقرر، بل أيضا فتح مسارات جديدة للتفكير عبر الخلايا العصبية على شبكة الأعصاب بالمنح والتأكد من حدوث هذا التحول فى الفكر التربوى، عن طريق أداءات المعلمين وظهور شواهد واضحة فى أداء المتعلمين.

وعليه .. فإن تحديث المفاهيم التربوية فى مؤسساتنا التعليمية يتطلب توظيف التفكير المتشعب فى آليات البرامج التعليمية التعلمية والأخذ بكل مما يلى؛ بهدف تحرير إمكانات العقل البشرى لدى المتعلمين:

- الأطفال أفضل فى القدرة على ممارسة التفكير المتشعب من البالغين حيث لديهم القدرة على نمو مهارات الطلاقة والمرونة والحساسية للمشكلات بيسر.
- دراسة الفنون تساعد المتعلمين على التفوق فى ممارسة التفكير المتشعب. وكذلك دراسة حل المشكلات فى كتابة الشعر.
- المزاج الشخصى له تأثير فى القدرة على ممارسة التفكير المتشعب واستخدام استراتيجيات تدريس لعب الأدوار يسهم فى تنميته.
- البيئة الثقافية المنفتحة لها تأثير إيجابى على نمو مهارات التفكير المتشعب، وكذلك استخدام التقويم المستمر يساعد فى تطوير إمكانات العقل البشرى.
- التدريب على مهارات التفكير المتشعب ينميه لدى الطلاب، من خلال البرامج التعليمية التعليمية.

- التفكير الافتراضى يساعد على تكوين وابتكار معلومات جديدة وهو مثير قوى لتنمية الخلايا العصبية؛ لأنه يدفع إلى التفكير بقوة فى الأشياء والأسباب المترتبة

عليها. وهنا نركز على استخدام الأسئلة الافتراضية مع مراعاة تتابعها بصورة تدفع المتعلم لأن يبتكر أحداثا ويخلق علاقات بين الظواهر.

- التفكير الانقلابي الذي يدفع المتعلم أن يعكس الصورة يبدأ من النهاية ويصل إلى البداية، يجعله يذهب إلى ما وراء المعلومات أو يعطى للمحتوى رؤى جديدة. وهذا في جوهره تفكير افتراضى أيضا يرفع من مستوى إدراك العلاقات بين الأحداث والمواقف.

- التدريب على استخدام الأنظمة الرمزية المختلفة الذى يعتمد على طريقة مخالفة لما وضعت الأنظمة من أجله.

- التناظر لتنشيط القدرات الذهنية، وتتم بالنظر في جملة الاستجابات والبث عن الأجزاء المتماثلة فيها، وهو تفكير يتطلب إبداعا لأن الإجابة تتطلب دائما ابتكارا ورؤية جديدة بين العناصر.

- تحليل وجهات النظر، ذلك أن وجهة النظر تعبر عن أفكار ومعتقدات، وهذه الاستراتيجية تهدف دفع التلاميذ فيما يحملونه من أفكار ومعتقدات تنعكس في أسلوب رؤيتهم للأمور، من خلال أسئلة عن التفاصيل والظواهر والبحث عن الأسباب.

- التكملة التى تدفع التلاميذ إلى استكمال الأشياء الناقصة أو غير المتكاملة. وهذا من شأنه دفع التلاميذ إلى التفكير بطرق متنوعة من أجل التوصل إلى إجابة.

- التحليل الشبكي الذى يجعل المتعلم يدرس الظواهر المعقدة ومحاولة السعى لتبسيط الارتباطات والعلاقات التى تشكل الظاهرة، واكتشاف تعقد العلاقات يساعد في تشعيب الخلايا العصبية.

إن العالم الذى نعيش فيه، ونحن نعيش الألفية الثالثة، يواجه أحداثا ومشكلات وقضايا وتحديات، لعل من أهمها: التنمية البشرية، وحماية البيئة، وتحقيق السلام، والإرهاب، والحوار بين الثقافات، والتزايد السكاني، وانفجار المعرفة، وانتشار وسائل الإعلام والاتصالات، والتطور العلمى والتقنى الهائل، والحاجة إلى توافر أنماط جديدة من الوظائف، وتأسيس علاقات ثقافية تقوم على التفاهم المتبادل، والتعايش السلمى مع أمم العالم.

كل هذه المتغيرات والمفاهيم الجديدة، تدعو إلى تغيير أهداف التعليم فى كافة مراحل ومستوياته. ولعل تقرير اليونسكو المقدم إلى اللجنة الدولية للتعليم فى القرن الواحد والعشرين يأخذ بيدنا إلى بدايات هذا التغيير المنشود، حيث يشير إلى أن التعليم ينبغى أن يتركز على شخصية الإنسان، وعلى التنمية الشاملة لبنى البشر بما فى ذلك التعليم المبكر للأطفال، وأن يغرس التعليم المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الثقافية من ناحيتى الوعى والعمل، وأن يطور التعليم المسؤوليات البيئية والوعى الكوكبى أو العولمى، وأن يؤكد خبرة الإنسان الداخلية، وإلهامه الفطرى وإبداعاته، وأن يعيش الطلاب على أن يكتشفوا كيف يتعلمون بأنفسهم تلقائيا وذاتيا.

وهذا الوضع الجديد، والعصر الجديد، والمطلوبات الجديدة تدعونا نحن التربويين أن نشجع التفكير وننميه، ونعلم لتفكير النقدى والإبداعى من خلال برامجنا ومناهجنا التعليمية العلمية، وأن نتخلى عن تلقين المعلومات وحفظها وتذكرها، والتدريب على النقاش والحوار والتفاوض والرجوع إلى المصادر العلمية كجزء أساسى من العملية التعليمية، والتدريب على البحث العلمى كنشاط تعليمى مهم.

إن تغيير البرامج الدراسية على أساس تنمية التفكير وتطوير أساليب التقويم والامتحانات أيضا على أساس التفكير النقدى والإبداعى أمر أساسى حتى نستبدل

بثقافة الذاكرة وآلية التخزين ثقافة الإبداع وتنمية التفكير، بدءا برياض الأطفال ومرورا بالتعليم العام وصولا إلى التعليم الجامعى والعالى.

إن تعليم التفكير هدف تربوى وحق لكل متعلم فى تنمية عقله واستثماره فى مختلف مجالات الحياة باعتباره أكبر ثروة طبيعية منحها الله لنا. فقد ظهرت فى الدول المتقدمة حركة تعليمية، عرفت بثورة أصحاب العقول، وشعارها: التفكير هو الهدف الأسمى من التعليم؛ ذك أن التعليم من أجل تحصيل المعلومات محدود الفائدة، والحاجة للتفكير فى هذه المعلومات، وفى مستجدات العصر مطلب حيوى للتعليم الحديث. وهذا معناه أن الثمرة الحقيقية من التعليم تكمن فى عملية التفكير التى نتجت عن عملية التعليم وليست فى المعلومات المتراكمة. وهذا ما يؤكد ضرورة تضمين مهارات التفكير فى كل المقررات الدراسية، مهارات التفكير الإبداعى والناقد حيث تستهدف المناهج الحديثة تعليمها لجميع الطلاب فى جميع المراحل التعليمية، على اعتبار أن المحتوى الدراسى لهذه المناهج أداة لنقل ما تحمله من مهارات التفكير، وأن هذه المهارات تعلم من خلال مواقف التساؤل والتشكيك كأساس للأحكام العقلية من خلال البرامج، التى تستهدف تنمى مهارات التفكير التباعدى والتفكير التقويمى على السواء.

إن المؤسسات التربوية التعليمية تقع على عاتقها المسؤولية الأولى فى تعليم مهارات التفكير؛ إذ عليها أن تسهم بكل ما تستطيع فى تخريج عقول مفكرة ناضجة ناقدة مبدعة لدخول آمن ومنتج للقرن الخامس عشر الهجرى، وتحقيق حياة كريمة تقوم على أساس تنمية التفكير السليم والتدبر والتبصر باعتبار أن التفكير فريضة إسلامية، لأن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يدرك الحقائق ويميز الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر، ويحسن الأذكار والروية. والإسلام حين دعا إلى التفكير ورحب به، إنما جعل ذلك فى نطاق العقل الذى يفكر فى الكون

الواسع بكل ما حواه من مخلوقات، ومن بينها الإنسان نفسه فأخذت العقول حريتها من التفكير والنظر والتأمل، ونهض أئمة المسلمين بالبحث والدرس والاجتهاد في العقائد والفقه وسائر العلوم والفنون دون أن يجد أحدهم ما يعوق نشاطه الفكري، واستقلاله العقلي فكان من ذلك كله الحضارة الإسلامية والمسلمون العلماء والأدباء والفنانون والمفكرون، الذين حققوا أنسنة الإنسان وسبقوا مفاهيم الكونية والكوكبية والعولمة بقرون، وهو أمر يفقده طلاب العلم في معاهدنا ومدارسنا.

ولعل تأصيل هذه المفاهيم في عقول أبناء العروبة وبناتها قضية جوهرية لتأكيد الهوية وغرس قيم الانتماء والولاء بين الأبناء، وتنمية الشعور بالوطنية في عالم بلا هوية.

إن الطالب العربي في معاهد وجامعات ومدارس وطننا العربي الكبير يكاد يتسم برؤية منغلقة إزاء قضايا أمته ومشكلاتها، سواء على المستوى الشخصي أو العام. يحدث ذلك في عصر المعلومات ما يقتضيه من تعدد الرؤى، إنه برؤيته الأحادية المنغلقة يعجز عن استيعاب ما يدور حوله من تحولات بالغة الحدة في فلسفة الحياة، وكيفية مواجهة هذا السيل المتدفق من تعددية في القيم والاتجاهات والنماذج التنموية.

إن هذه الوضعية التعليمية تتطلب من المهمومين بالتعليم تأكيد ثقافة الجودة الشاملة في مدارسنا وجامعاتنا؛ حتى نضمن عمليات تقويم ثم تطوير مستمرين لأبعاد البيئة التعليمية مزرعة الفكر البشري، وفق معايير وأسس عالمية لضمان الوصول إلى الأهداف المعلنة بفاعلية وكفاءة، وتفعيل إنتاجية المؤسسة التعليمية، وتدعيم مسيرة كاملة في المدارس العليا والجامعات لتدريس فنيات الحوار وأخلاقياته من المنظور الثقافي لكل مجتمع، بل إن بعض الجامعات والمدارس خصصت أقساماً علمية وبرامج دراسية تؤهل الدارسين لامتلاك قدرات ومهارات

وأخلاقيات الحوار، بل للحصول على دراسات متخصصة في التواصل الكلامي والحوار، لمواجهة التسلط والاستبداد والتعصب والعنف والإرهاب واللامبالاة من أجل أمة عربية واحدة.

خامسا - هندسة النجاح والتعليم :

هل يمكن أن نوظف علما جديدا يسمى هندسة النجاح في التعليم ؟ ندرس فيه ماذا وكيف يؤدي الناس المهرة أعمالهم ؟ نحدد فيه أنماط مهارات ومدى تكرار هذه المهارات، حتى يمكن أن نعلمها وندرّب عليها ونكسبها لطلابنا في المدارس والجامعات ونعلمهم هل الأشخاص العظماء والناجحون والمبدعون والمبتكرون يستخدمون أنماطا ونماذج معينة، يمكن لنا نحن التربويين إعادة صياغتها وتعليمها لنصف الحاضر وكل المستقبل ؟ نعم هناك علم هندسة الاتصال البشري أو علم البرمجة العصبية اللغوية، وهو ما يطلق عليه باللغة الإنجليزية (Neuro-Linguistic Programming) ، ويعنى تصميم السلوك والتفكير والشعور، وكذلك تصميم الأهداف للفرد والأسرة والمؤسسة، وتصميم الطريق الموصل إلى هذه الأهداف.

تقول مثلا إن فلانا متفوق في دراسته أو عمله أو في وظيفته أو في علاقته الاجتماعية، وعلم هندسة النجاح أو هندسة الاتصال البشري يساعدنا في تشخيص أسباب هذا التفوق ومعرفتها وكيف يفكر الإنسان المتفوق؟ وكيف يتصور الأشياء؟ وكيف يتذكر الأشياء؟ هل يتحدث إلى نفسه؟ وبماذا يتحدث إلى نفسه؟ وماذا يشعر به؟ وكيف يشعر به؟ من هذه المعلومات يمكننا إيجاد نموذج، أو استخلاص قواعد وأصول وأنماط نستطيع معها أن نصنع التفوق لدى أشخاص آخرين؛ فهندسة النجاح تنظر إلى قضية النجاح والتفوق على أنها عملية يمكن صياغتها، وليست هي وليدة الحظ أو الصدفة؛ ذلك إن إحدى قواعد هندسة

النجاح أنها لا تهتم بالمضمون فحسب بل تهتم بالإطار والشكل والهيكل؛ أى تهتم بكيفية حصول المشكلة، وليست المشكلة ذاتها، نهتم بالسؤال كيف تولدت حالة النجاح أو حالة التفوق؟

وعليه .. فإن الإنسان مطالب بتعديل طرائق تفكيره وتنويعها، وتهذيب سلوكه وتنقية عاداته، وشحذ همته، وتنمية ملكاته، وتطوير مهاراته، وتغيير ذهنيته، والتأثير في غيره؛ أى إن علم هندسة النجاح له وظيفتان، هما: التغيير والتأثير، تغيير الذات وتغيير الغير.

والمهارتان الأساسيتان اللتان يجب العناية بهما ورعايتهما في تعليمنا بجناحيه العام والجامعى، هما: مهارة النظام التمثيلى للمتعلم أى أنماط التفكير المتنوعة وكيفية تشكيلها فى ذهن المتعلم عن طريق البصر والسمع والإحساس، ثم مهارة الألفة وهى حالة التوافق بين المعلم والمتعلم بتكوين رابطة إيجابية؛ ذلك أن الألفة بين المعلم والمتعلم مطلب أساسى وجوهري لكل اتصال مؤثر فعال، أو أن الألفة هى المدى أو الدرجة التى تدخل منها إلى عالم المتعلمين ونؤثر فيهم وعلى حيواتهم.

إننا بتوظيف هذا العلم الجديد فى التعليم والتعلم، ندرّب طلابنا كيف يتعرفون طرائق تفكير الآخرين، وكيفية تغيير الحال الذهنية ودور الحواس فى تشكيلها، وشحذ القابليات، ورفع مستوى الأداء الإنسانى، وكيف يمكن تغيير المعانى والمفاهيم وتوسيع دائرة الخبرات وطريقة الإدراك وإتباع أطر مرجعية مختلفة، ومعرفة أدوات ومهارات جديدة فى إنجاز الاتصال الفعال، بغية تشكيل إنسان جديد لمجتمع جديد.

إن الاتصال يمثل دورا مهما ومادة فعالة فى عالم الإنسان المعاصر، إنسان الألفية الثالثة، وفاء باحتياجات الواقع الإنسانى الآخذ فى التعقيد فى جميع ملامحه اجتماعيا وفكريا وسياسيا واقتصاديا، حيث يقوم عليها الأنشطة التعليمية وتربوية

على السواء لترقية التفاعل الصفى، وإثارة الدافعية والارتفاع بمستويات التحصيل والتفكير، وتحقيق التأثير الإيجابى فى الطلاب ولتشكيل بيئة تعليمية ثرية، ومزرعة للفكر البشرى الديمقراطى.

وليس الاتصال مجرد كلمات تلقى أو عبارات تقال، بل يتضمن مدى واسعا من التعبير والتفكير يتمثل فى كتاب مدرسى باعتباره أحد مصادر التعلم لا كل مصادر التعلم، واستجابات المتعلمين منطوقة وغير منطوقة، وعلاقات عاطفية حميمة بين المتعلمين من جهة وبينهم وبين المعلم من جهة.

وتفعيلا للاتصال البشرى وتثميرا لمهاراته، ظهرت هندسة الاتصال البشرى أو البرمجة العصبية اللغوية أو هندسة النجاح فى ميدان برامج التدريب، على أساس أن لكل إنسان طريقته الخاصة فى التفكير، وهذا الاختلاف يرجع إلى كيفية حصول الإدراك للعالم الخارجى عن طريق مركبات ثلاثة، هى الحواس الرئيسة: السمع والبصر والفؤاد مركز الإحساس والشعور حيث تظهر عن طريق هذه الحواس القدرات المختلفة للمتعلمين: القدرات العقلية والقيادية الإبداعية والفنية والأدائية السلوكية المختلفة التى تشابك فى صناعة موقف تواصلى ناجح.

علم هندسة الاتصال البشرى هو علم تصميم السلوك، والتفكير، والشعور، والأهداف للفرد والأسرة وكيف يصل إلى هذه الأهداف .. إنه علم استخدام اللغة بمهارة، وكيف أن بعض الكلمات تعكس صورة العالم الذهنى عن طريق الجهاز العصبى والطرق الذهنية لحواسنا الخمسة، التى نرى بها ونسمع ونشعر ونشم ونتذوق وخلال ذلك نستخدم اللغة اللفظية ولغة الصمت من إشارات وحالات نفسية وعادات سلوكية تكشف طرائق تفكيرنا ومعتقداتنا، كما أن أفكارنا ومشاعرنا وأعمالنا هى ببساطة برامج تعودية يمكن تغييرها بالتعلم والتدريب وتحسين برامجنا العقلية، بل إن هندسة الاتصال البشرى هى هندسة نفسية للنجاح، وهى طريقة منظمة لمعرفة

تركيب النفس البشرية والتعامل معها بوسائل وأساليب محددة تؤثر في حسم وسرعة في عملية الإدراك والتصور والشعور وبالتالي في السلوك والمهارات والعادات والأداء الإنسانى جسميا وفكريا ونفسيا.

إنه علم يكشف لنا كيف يؤدي الناس الناجحون والمتميزون والمهرة أعمالهم، والإفادة من ذلك في التعليم والتدريب لإتقان العمل وتغيير الحالة العقلية والذهنية والمهارات والعادات لتحقيق التغيير لدى الشخص ولتحقيق التواصل الناجح لدى الناس .. إنه علم يسعى لدراسة تركيب الخبرات والمواقف الداخلية وتواصلنا مع أنفسنا داخليا وخارجيا، إنها برجة للإنسان وعقله لصياغة التميز في عالم ليس التعليم فيه للجميع فقط، بل للتميز والتفوق.

إن أهداف هندسة الاتصال البشرى هى الأصابع الذهبية التى تشكل كيفية استخدام حواسنا فى عملية التفكير، وكيف نتعرف طريقة تفكير الآخرين، ورصد الحالة الذهنية وتعرفها وكيفية تغييرها، ودور الحواس فى تشكيل الحالة النفسية العقلية إنها تحقق الألفة بين شخصين وفى التأثير على الآخرين ورفع مستوى الأداء وتنمية المهارات وشحذ القابليات، واستخدام اللغة فى الوصول إلى العقل الباطن اللا شعور، وتغيير المعانى والمفاهيم وتوسيع دائرة الخبرات، والكشف عن طرائق فنية لإخراج الناس من مواقف وحالات نفسية مؤلمة ومن محبسهم فى عادات تسبب اختلال وظيفى جسميا يحد من نشاطهم.

وعلم هندسة الاتصال البشرى تتعدد فوائد مردوده وتنوع لتشمل اكتساب طرق عديدة لكيفية الاتصال بالناس ومعرف طباعهم، وفتح الباب أمام من يريد أن يتعلم كيف نجح المرموقون والعظماء والمبدعون، وتعلم عادات جديدة تضيف الحيوية والنشاط والنجاح فى حياة من يتعلم هذا الفن، واكتساب أدوات ومهارات تغيير النفس وتغيير الآخرين وتطوير الأعمال فى ميادين الطب والتعليم والتجارة والتربية بل والحياة الأسرية.

إن هندسة الاتصال البشرى تعنى بالنظرية التى تهتم بالتفسير، كما تعنى بالنموذج الذى يحول النظرية إلى الممارسة العملية خطوة خطوة.

ويتمثل نمو الاتصال البشرى وهندسته فى:

١- أنظمة صيغ الإدراك من نظر وسمع وشم وذوق وشعور، والتى يتضمن كل منها صيغا فرعية يستخدمها العقل لترميز المعلومات فى أى موقف من مواقف الحياة.

وهنا لابد من أن نؤمن بهذه الفروض:

- لا أحد مخطئ فالخطأ نسبي.
- الناس يعملون بإتقان لينجزوا.
- كل سلوك له فائدة فى موقف ما.
- إذا لم تجد من الآخرين ردا أو استجابة افعل شيئا مختلفا.
- لا يوجد شيء اسمه الفشل، المهم أن تستفيد من أخطائك.
- الإنسان الذى يتسم بالمرونة الشديدة يؤثر بشدة.
- إذا فعل أى شخص شيئا ما يمكن لأى شخص آخر أن يتعلمه.
- أنت فى نفسك دولة ونموذج متفرد غير مكرر.

وهناك لغتان للطالب المتعلم؛ الأولى: ما نسمعه منه حين يتحدث، والثانية: ما يدور فى عقله من لغات بصرية أو سمعية أو مشاعرية، فالطالب البصرى يمثل نفسه بكلمات تحتوى على صور ومشاهد، والسمعى يستخدم كلمات تحتوى على سمعيات، والمشاعرى الحسى يستخدم كلمات متتقة تشير إلى عواطف وأحاسيس .

٢- مهارات الألفة إحدى وسائل توطيد العلاقة بين البشر، وعن طريقها يدخل المعلم إلى عالم المتعلم .. يعرف اهتماماته ويشاركه أحاسيسه ويتكلم بلغته من

أجل تواصل فعال ومؤثر، ومردود ذلك على المعلم أن يستمع إليه المتعلمون ويحترمونه ويثقون فيه، حيث تتكون رابطة إيجابية بين طرفي الاتصال، عن طريق بناء علاقة قائمة على الثقة المتبادلة والانسجام النفسى والإحساس بالترابط والتواصل على الموجة النفسية نفسها.

وسعى المعلم لتحقيق الألفة مع طلابه ييسر له:

- كسب طلابه المتمثل في احترامهم وإنصاتهم له.
- الوصول إلى مستوى تفكيرهم ومعايشتهم أفكارهم.
- إدارة الوقت والدرس والفصل تتم بسهولة.
- صنع وقت مثير واهتمام أطول ومزيد من المتعة.
- تحقيق نتائج تحصيل ذات مستويات عليا.
- إكساب الطلاب المرونة فى العلاقات معه ومع زملائهم.

والألفة سبيل القبول الاجتماعى والانفتاح العقلى، وهى تحقق شخصية متفتحة تتقبل الآخر وتحترم حق الاختلاف، وتحب الحديث مع الناس وترغب فى العمل التعاونى وتميل إلى خدمة الآخرين والتأثير فيهم والتأثر بهم. كما أن عناصر الصوت (النبرة والسرعة والبطء والدرجة والنغمة) تؤدى إلى إضفاء الحيوية والقوة والمزيد من التآلف والانسجام مع المعلم والدرس والبيئة التعليمية/ التعليمية، ناهيك عن تأثيرات حركات الجسم والنظرات وتعبيرات الوجه وحسن المظهر الخارجى.

المعلم المتآلف مع طلابه فى حركة اتصال دائم عن طريق الابتسامة والإيماءات والإشارات وصولاً إلى مفاتيح عقول الطلاب ومفاتيح الشخصية؛ من أجل إنسان جديد للألفية الثالثة، إنسان مبدع ومفكر مشارك متمم .. يمتلك رأى والرؤى ويقبل ويرفض يعلل ويفسر .. يمتلك ثقافة الإبداع وثقافة الإبداع فى آن واحد.

إن انشغال القيادات التعليمية بتناول القضايا والمشكلات الجوهرية التى يتطلبها الإصلاح الملح فى انطلاقة تطوير التعليم وتجديده يفرض على المشتغلين

بأمور التربية من خبراء اقتصاد وأساتذة جامعات وإعلاميين توضيح المفاهيم التربوية، والسعى نحو تفعيلها، والتوعية بدلالاتها الصحيحة ورسم حدودها وقواعدها وشروطها، وحتى لا ينحرف فكر جماعات الضغط الاجتماعي من آباء ومعلمين تقليديين وأصحاب المصالح الفئوية عن المسار التربوي المنشود. وفي الإطار جاء طرح مفهوم المدرسة المنتجة بعيدا عن قرارات الغرف المغلقة، وتوظيفاً لنتائج البحث التربوي لهندسة وتصنيع مواطن متعلم ومنتج في إطار منافسة عالمية، تتطلب تعميق الهوية، والاعتماد على الذات بامتلاك مهارات الحياة.

سادسا- أدوار المعلمين لصناعة المبدعين:

الإبداع أحد مقومات التقدم الحضارى، وجسر تقدم الإنسان وعدته في مواجهة مشكلات الحياة، وتحديات المستقبل. ويرجع الفضل في إبراز الإنتاج الإبداعي إلى التربية؛ لأن الدول المتقدمة كلما اعترها القصور في مجال ما عادت مسرعة وتتصفح دفتري التربية والتعليم وواقعها من معطيات العصر ومجريات الأمور، مستوضحة الخلل الذي أصاب التربية فجعلها عاجزة عن بلوغ المرام، أو المضي قدما نحو المستقبل بما يتطلبه من الجديد، وصولا إلى آفاق إبداعية متنامية خارج أسوار الزمان؛ لأن الإبداع في مفهومه التربوي صنعى لا طبيعى بمعنى أن المؤسسة التعليمية هى المنوطة بصياغة العقول المبدعة في شتى المجالات، والاهتمام بالإبداع في مجال ما ينعكس على مجالات أخرى، لارتباط المعرفة في جميع مظاهرها، ومن هنا يقتضى أن نغير اهتمامنا للإبداع في مؤسساتنا التعليمية.

إن الإبداع يعنى ظهور إنتاج جديد نافع من التفاعل بين الفرد والخبرة التى مر بها، والتحديد الدقيق للإبداع إنما يأتى من خلال فحص الإنتاج الإبداعي ذاته لمحاولة تبين حقيقته الأصلية، والكشف عن الأسس المهمة التى على أساسها يمكن قبول أو إنكار دعوى الإبداعية فيه، والإبداع هو النشاط أو العملية، التى تقود إلى

إنتاج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة من أجل المجتمع. وهذه التعريفات للإبداع تدور حول محورين: الأول الإنتاجية، فالنتاج هو ما نستطيع أن ندرك وجوده وهو ما يمكن أن نحسه ونتعرفه. ودراسة الظاهرة من خلال الإنتاج الإبداعي يكشف عنها، والثاني هو أن الإبداع يقف خلفه مجموعة من القدرات هي الأصالة والمرونة والطلاقة، وهي في الوقت ذاته تعد سمات يتميز بها العمل الإبداعي، وقدرات يتحقق الإبداع من خلالها.

إن كفاية أداء التلاميذ يمكن إثرائها بزيادة وعي المعلمين، ومعرفتهم الواقعية بأهمية قدرات تلاميذهم وطاقاتهم ومستوى تطورهم المعرفي والعقلي، وعليه.. فإن نوعية المعلم متغير أساسي في تنمية القدرات الإبداعية لدى الطلاب. إن المعلمين الذين يبدون سلوكاً أكثر أصالة وإثارة يكون طلابهم أكثر قدرة على المبادرة، وأكثر قدرة على القيام بأنشطة من النوع الإبداعي، فمن يمتلك يستطيع أن يعطي، كما أن المبتكر لا يبتكر من ذاته بل يستثيره الآخرون، ففي كل طالب طاقة ابتكارية، وقوة تدفعه في طريقها الصحيح، وعليه.. فإن المعلم الناجح هو الذي يخلق جواً في قاعة الدرس يساعد على ممارسة الإبداع، بأن يشجع الطلاب بالتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم، ويدربهم على أساليب التفكير النقدي والمناقشة والوصول إلى إجابات متعددة عن السؤال الواحد، وإثارة دوافع الطلاب وتنشيط قدراتهم واستعداداتهم وميولهم، وتوفير المزيد من أنشطة التعلم.

ولا تقتصر أهمية المعلم على دوره المباشر في تنمية الإبداع، وإنما يتعداه إلى ما يتبنى المعلم من اتجاهات إيجابية نحو الابتكارية. وهذا الأمر يتطلب إعادة النظر في تكوين المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناء الخدمة بأن يمتلك المعلم صفات المعلم المبدع، وهي: مرونة شخصيته، والثقة غير المشروطة في قدرات الطالب، والإقلال من التقييم والنقد الخارجي، وإشعار الطالب بالأمان وعدم الخوف، واستخدام التشجيع والإثابة، وإدراك الفروق الفردية بين المتعلمين، وإثراء الموقف التعليمي

بالأنشطة الإبداعية، وإظهار قيمة أفكار الطلاب، والإمام بسمات الطلاب المبدعين، وتشجيع الطلاب للتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم الذاتية، وامتلاك القدرة على التسامح والبهجة والحرية.

وتتنوع أدوار المعلم المبدع ليشكل البيئة المناسبة للإبداع، والتي تدعم تلك القدرة لدى الطلاب وترعاها، وحيث يخلق المواقف التعليمية الطبيعية التي تفجر طاقات الإبداع وتثير المتعلم وتتحدى قدراته، ويدرك أن الإبداع ينتج عن التفاعل بين نمو الشخصية والتغير الاجتماعي، والعلاقات الشتى للتفاعل بين المتعلم والمعلم، والظروف التي تحيط بعملية التعليم والتعلم.

وفي إيجاز فإن البيئة والسياق التعليمي المبدع يتميز بما يلي:

- الحرية والأمان المدرسي ويتحقق من خلال الحرية الممنوحة للطالب، وإثارة الرغبة في التعبير والمشاركة، من خلال مواقف حية تمس أهدافهم وحاجاتهم وميولهم.
- التسامح والديمقراطية في قاعات الدرس؛ حتى تنفجر طاقات الطالب من خلال الإثابة والتشجيع.
- المرونة التي تسود سياق التعليم والتعلم ومناخ الدراسة، والاعتماد على الحوار والتنافس.
- العناية بأفكار وتحيلات الطالب خاصة تلك التي تخالف أداء المعلمين وأفكارهم.
- غرس الثقة في إحساس الطالب وتقدير آرائه، وما أبدعه ومناقشته فيه.
- توفير بيئة تدريس مفتوحة وفصول بلا جدران.
- التدريس العلمى المستمر المقترن بالحوافز.

■ خلق جو صحي من العلاقات الإنسانية المناسبة في قاعات الدرس، وفي البيئة التعليمية والمؤسسة ككل

■ توفير وسائل ومصادر تعلم متعددة، مثل: المكتبة والشبكة العنكبوتية.

■ تقديم مقررات دراسية على شكل مشكلات تعليمية تفتح أمامهم أبواب التأمل والنظر والتحليل والتركيب، والاكتشاف الموجه، والأنشطة الابتكارية والعصف الذهني والتخيل والتحويل والنهايات المفتوحة.

إن المعلمين الحرفيين الفنانين هو الذين يصنعون بيئة تعليمية مثيرة، وفيها يكلفون الطلاب بإجراء البحوث والتكليفات المنزلية بالتردد على المكتبات والانشغال بعالم الصفحة المطبوعة، وهم يستخدمون أنشطة وأساليب تدريسية ويركزون على قيم عقلية ومهارات اجتماعية تحت شعارات متنوعة، فبعضهم يركز على موضوع ما (أنا أدرس ما أعرف) ويركز على الطالب (أنا أدرب العقول) أو (أنا أعمل مع الطلاب وكلنا نفكر معا) .. هم يصنعون بيئة تعليمية مبدعة بتحركهم وتحمسهم وتساعدهم وتواضعهم، ولديهم حضور مع مجموعات الطلاب، وهم ماهرون يحولون مناخ التعلم إلى حلبات درامية ومسارح للعلاقات الشخصية البينية لأنهم مطبوعون ومصنعون معا. إنهم يجعلون أداء الطالب ثمرة لقدرته العقلية في إطار الآثار الدافعة الحافزة التي يوفرها له المناخ الصفى، والتي تنتج عن فاعلية المعلم المبدع ونتاج خصائصه الشخصية وبيئة التعلم معا، بل وفهمه للمحتوى بعمق ووضوح وذكاء، وعرضه للدرس عرضا دراميا تفاعليا مستخدما لغة الجسم، وفن الإلقاء، وبلاغة الحديث والحوار، بل والقدرة على توضيح المفاهيم المجردة والأفكار المركبة بسهولة، سواء نجم هذا عن الاندماج العالى والقدرة على التركيز على المسلمات الأساسية، أو الوقفات التي تسمح بالتفكير السريع بالأمثلة المحسوسة أو الحصول على تغذية راجعة من الطلاب واستخدامها في تحسين الأداء، أو بقراءة معنى الاتصال البيني والاندماج عبر مجموعات من الخبرات الإنسانية

والمهارات الاجتماعية بالقرب النفسى من الطلاب وحبهم، والحرص على مصالحهم وتنمية العلاقات الإيجابية معهم، وزيادة معرفتهم بالديناميات الصفية وبأن يخلق جوا سارا مبهجاً، بل بتطوير قدراته إلى أقصى حد ممكن بامتلاك الجهد والمثابرة والعروض الشفهية التلقائية، وإعطاء الأمثلة وتفسير رسائل الطلاب الضمنية.

التدريس المبدع يعطى حرية هائلة فى تنظيم الوقت وتوجيه الطاقات، ومستويات مماثلة من الدافعية الذاتية، والتنظيم الشخصى والانضباط الذاتى، واتخاذ قرار يحدد مقدار الطاقة، التى يجب أن تستثمر فى المتطلبات الفورية للتدريس، ومقدار التوجه نحو الأهداف البعيدة وغير الملموسة للبحث والدرس العلمى. وعليه .. فإن توافر الوقت الكافى هو مسئولية المعلم نفسه؛ حيثوازن بين المتطلبات المتنافسة على جدول وقته، وبين التدريس الجيد المبدع، والبحث العلمى، وممارسة الأنشطة العلمية والتعليمية والمجتمعية، دون انتظار لثناء على واجباته الأكاديمية أو المهنية، بل تقييم عمله تقييماً ذاتياً بشكل دورى معتمداً على مصادر متنوعة من نتائج وآراء الطلاب والزملاء والرؤساء والإداريين.

إن السمعة الوطنية للمدرسة أو الجامعة هى ثمرات جهود المعلمين ومستويات نجاح وتمكن الطلاب من المهارات والقدرات والمعلومات اللازمة لسوق العمل المتغيرة أبداً، كما أنها ثمرة برامجها فى البحوث والدراسات العلمية، وأنشطتها العملية فى خدمة البيئة المحلية والاتصالات القومية والدولية.

وترتبط السمعة الوطنية للمؤسسة التعليمية بقياس اتجاهات المعلمين نحو الطلاب، والتى تكشفها المحادثات غير الرسمية فى محافل المجتمع والإعلان من منح ونوادير ومذكرات ونعوت الطلاب، التى تعكس ثقافة المؤسسة التعليمية ومعتقدات الآباء والمعلمين؛ الأمر الذى يتطلب المتابعة الرسمية والمجتمعية ومنح

الجوائز وتقدير الأعمال الجيدة لمن يستحق، والتقييم المستمر لقياس الكفاءة الداخلية للمؤسسة التعليمية من رسوب وتسرب الكفاءة الخارجية من اكتساب المتخرجين لقدرات ومهارات سوق العمل المتغيرة الحالية والمستقبلية، بل إن سمعة المؤسسة التعليمية تتأثر بدرجة كبيرة بنوعية القيادات التعليمية ودرجات النزاهة والموضوعية واحترام القانون في اتخاذ القرارات، ناهيك عن الفاعلية والنشاط والمشاركة في نشر الوعي بقضايا الوطن ووضع المؤسسة التعليمية على مستوى المنافسة العالمية بالحوارات والبحوث والدراسات والاتصالات القومية والدولية بالمؤسسات المناظرة وامتلاك الفكر المستنير والرؤى المنفتحة، والإفادة من قادة الفكر وأصحاب الرأي؛ حتى تصبح المدارس والجامعات رسالة تحتضنها مؤسسات.

